الكتاب الثاني

الصحيفة الثانية

في

في ذكر أعاظم حكّام كردستان الذين لم يستقلُّوا بالملك ولم يرغبوا في العروج ولكن أمروا في بعض الاحيان بتلاوة الخطب و سك النقود بأسمائهم

وتشتمل هذه الصحيفة على
خمسة فصول

الفصل الاول

في شأن حكّام أردلان

١- بابا أردلان

لقد كتب نقلة أخبار حكّام كردستان، وحملة آثار أتابكة لرستان عن منشأ حكّام أردلان بيراعاتهم السّيالة على لوح البيان، هذه المعلومات: «إنَّ رجلاً من سلالة ولاّة ديار بكر = آمد ومن حفدة أحمد بن مروان[١] - الّذي إتّضحت ترجمة أحواله وشرح سيرته ممَّا مر- وكان يدعى بابا أردلان، كان يقيم ردحاً من الزّمن بين أظهر العشائر الجورانيَّة «گوران» تمكّن في أواخر أيّام السّلطنة الجنگيزيَّة[٢] من الإستيلاء على شهرزول الّتي اشتهرت بعد ذلك باسم شهرزور - شاره زور، وأعلن عن نفسه بأنَّه قباد بن فيروز السّاساني[٣].

---

(١) هكذا في النّسخة المطبوعة، وفي النُسختين الخطّيتين، بابك بن ساسان [م.عوني] أنَّ أحمد بن مروان هذا هو رابع ملوك الدُّولة الدُّوستكيّة الكرديَّة الّتي تألّفت في ديار بكر والجزيرة، ومؤسّس الحكومة المروانيَّة المار ذكرها. وقد انقرضت هذه الحكومة في أواخر القرن الخامس الهجري، ولا يستبعد أن يكون بابا أردلان هذا من سلالة مؤسّسها، وقد هجر وطنه تخلّصاً من ضغط ابن جهير ومظالمه، ودخل بين أظهر القبائل الجورانيّة «گوران» ثمَّ نهض هذه النّهضة. هذا واذا كان المستشرق (ريج) يدَّعي: أنَّ أسرة بابا أردلان هذه، قد انحدرت من صلب ماموين أحد أفخاذ عشيرة جوران «گوران» وأنه تمكّن بفضل عشيرته القويَّة من الغلبة على عشائر تلك البلاد، ومن تأسيس حكومته هذه...» فانَّ مؤلّف تاريخ أردلان - إسماعيل بن الملا محمد حسين- يصرِّح بأنَّ بابا أردلان قد جاء ونزل منطقة پلنگان، وأنَّ اشتهار حفدته باسم(ماموين) ليست إلاّ نسبة إلى حفيده مأمون بك بن منذر بك.

(٢) السّلطنة الجنگيزيَّة: هي الإمبراطورية الّتي أقامها جنگيز خان بن تولى، وورثها بعده أسرة هولاكو ثم أسرة تيمور.

(٣) لعلَّ في هذه العبارة سقطت صوابه: (انه أعلن عن نفسه أنَّه من سلالة قباد بن فيروز السّاساني): فانَّ قباداً- كما لا يخفى- قد عاش قبل الهجرة بزمن، وانَّه هو الذّي حارب الجيش الرُّوماني في كردستان عام (٥٠٢م) وهو أبو (نوشروان) الشّهير. ولعلَّ ما يدَّعيه سكّان أردلان

والوجه في تسمية شهرزور بهذا الإسم على ما يراه حمد اللّه المستوفي[٤] هو أنَّها كانت خاضعة للحكام الأكراد، فأي كان منهم أشدُّ بأساً وأوفر قوَّة، كان يفوز بتقلُّد زمام حكمها بالإستقلال، ويتمكَّن من إدارة شؤونها بدريته الصَّائبة[٥].

٢- كلول بن بابا أردلان

ثمَّ إنَّ بابا أردلان بعد أن أدار شؤون الحكومة ردحاً من الزَّمن، أدركته المنون، فقام مقامه نجله كلول، يتولَّى إدارة الولاية بجد وحزم[٦]. وحين وافاه الأجل، تقلَّد الحكم بعده حفدته على النسق الآتي: قائمين بشؤون الحكومة في الولاية المذكورة. وهم: **٣- خضر بن كلول ٤- والياس بن خضر ٥- وخضر بن الياس ٦- حسن بن خضر ٧- وبابلو بن حسن**[٧].

٨- منذر بن بابلو

بيد أنَّنا لمّا لم نحصل على تراجم الجماعة المذكورين، فاضطررنا أن نضرب عنهم

أنفسهم من تقادم عهد حكومتهم، وأنَّها كانت موجودة في العهد العباسي. وأنّها من أنقاض الحكومات السّاسانية، قد نجم من هذا الرأي أيضاً.

(٤) يعني حمد اللّه بن أبي بكر المستوفي القزويني المتوفَّى سنة (٧٤٠هـ-٢٣٩م) صاحب المؤلَّفات القيِّمة الَّتي منها كتاباه (نزهة القلوب و گزيده) اللذان دبَّجهما باللُّغة الفارسيَّة.في الجغرافيا والتأريخ.

(٥) يؤيِّد رأيه مدلول اسم شهرزور المركَّب من كلمتي: شهر(المدينة) وزور(القوَّة) أي مدينة القوَّة وعلى مايقول ابن خلكان من أنَّ مؤسسها زور بن الضَّحَّاك يكون معنى الاسم مدينة زور. هذا على حين أنَّ بعض المؤرِّخين يقولون «إنَّه من أبناء قباد بن فيروز السَّاساني» وهناك من يقول «إن اسمها سيازور، وقد ورد هذا الاسم في التَّقرير الذَّي أرسل به القيصر هرقل إلى سنا(مجلس الأعيان). ولقد ألَّف توفيق وهبي بك (رحمه الله) عن شهرزور رسالة حقَّق فيها مورد الاسم وجمع فيها معلومات جمَّة، فإنَّني أوصي قراء التأريخ الأكراد بمطالعتها.

(٦) يقول ميجر لونگريك في ص٧ من كتابه «إنَّ كلول بيك هذا قد تبَّسط في نفوذه ووسَّع حدود بلاده حتى أخضع أربل، وجبى الإتاوة من أصقاعها.

(٧) ضبط هذا الاسم في تأريخ أردلان بلفظ بالول بن منذر.

صفحاً[٨]، وأن نشرع في البحث في تراجم جمع من هذه الأسرة كما كنا قد إستمعناها من أفواه الثِّقات، ما بلغ حدَّ التواتر، أو شاهدنا أطوارهم رأي العين، ونسطِّرها في هذه االرِّسالة، ببراعة سيَّالة، وندرج قصصهم وحكاياتهم كما هي من دون زيادة أو نقصان، وندع الأقوال المختلفة الّتي يستنكرها العقل (والسَّلام على من اتَّبع الهدى).

٩- مأمون بن منذر بن بابلو بن حسن بن خضر بن إلياس بن خضر بن كلول بن بابا أردلان

لَمَّا توفِّي أبوه أضحى حاكماً مستقلاً مكانه فلبث دهراً مديداً مستقلاً بالحكم، يدير شؤون تلك الأصقاع إدارة حازمة ثم جاءته الوفاة[٩] مخلَّفاً ثلاثة بنين هم: بيكه بيك وسرخاب بيك ومحمد بيك.

---

(٨) جاء في تأريخ الدُّول والإمارات الكرديَّة (٢/٢٧٦) والقرون الأربعة الأخيرة في العراق (ص٧-٨) مايلي: «إنَّ الحكومة الّتي أقامها بابا أردلان بقيت على عهد أميرين من حفدته، وهما خضر بك بن كلول وابنه إلياس بك بن خضر بك، آمنة مطمئنَّة. ثمَّ لما ظهرت الحكومة الجلائريَّة في القرن الرَّابع عشر الميلادي وكان يحكم أردلان آنئذ أمير خامل من الأسرة وهو خضر بيك بن إلياس بيك خرج القسم الشَّمالي والشَّمال الغربيُّ من مملكته من حوزة حكمه وعزمت الحكومة الجلائريَّة السَّيطرة على المملكة بكاملها غير أنَّ الأمير الجديد وهو حسن بيك بن خضر بيك تمكَّن بحنكته أن يحول دون ذلك ويردَّ الحكومة الجلائريَّة فاشلة وما حلَّ القرن الخامس عشر الميلادي «القرن التَّاسع الهجري» حتى ظهر مأمون بك بن منذر بك بن حسن بك فأخذ ينافح الحكومة الجلائريَّة ويقاومها مقاومة عنيفة فتمكَّن من توسيع مملكته واستعادة نشاط حكومته بفضل عزيمته ونشاطه، واسترَّد ما فصل من المملكة. وهكذا أصبح الزّاب الكبير مرَّة أخرى حدود مملكته من الشِّمال وقام بتحصين راوندوز وتحكيمها بقوة كبيرة.

(٩) جاء في تأريخ السُّليمانية وأنحائها أنَّ أيام حكومة مأمون بيك هذا قد امتدَّت من عام(٨٦٢ هـ - ١٤٥٧م) حتى عام (٩٠٠ هـ - ١٤٩٤ م)أي زهاء ثمانية وثلاثين سنة وأنَّه تقدَّم ببلاده من الوجهتين الثَّقافية و الإدارية وضمَّ إليها جميع الدُّويلات الصَّغيرة المجاورة لها، أمثال، إمارتي درنه وپنجوين الواقعتين على الحدود الإيرانية وإمارات كويسنجق وحرير وراوندوز الواقعة بين الزَّابين وإمارة عقرة على ضفاف الزَّاب الكبير والعماديَّة ودهوك وملحقاتهما. ولم تؤسَّس منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا بين الحكومات المجاورة للدَّولة العراقيَّة الحالية حكومة تماثلها وتقاس بها. وجاء في تأريخ أردلان أنَّ صاحب التَّرجمة قسَّم على عهد حياته مملكته بين أولاده الثَّلاثة فأناط زلم ونوسود وهاوار وسيمان وددان وگولعنبر بابنه بيكه بيك وسهل مريوان تنوره وكلو

١٠- بيكه بيك بن مأمون بيك

لَمَّا غادر أبوه الدُّنيا الفانية إلى الدَّار الباقية تولَّى أمور ولايته الوراثيَّة، بيد أنَّ تلك المملكة لَمَّا كان والده قد قسَّمها في حياته بين أنجاله لم يكن بقي منها في تصرُّفه سوى ضلم = زلم[١٠] وتغسو[١١] وشميران[١٢] و هاوار[١٣] وسيمان[١٤] وراوان[١٥] وگل عنبر[١٦]. أمّا بقيَّة أنحاء المملكة فكان زمامها في تصرَّف أخويه اللذين نذكر فيما يأتي ترجمة حياتهما. هذا ولَمَّا إمتدَّت أيّام حكومته زهاء إثنتين وأربعين سنة إرتحل من عالم الفناء إلى عالم الخلود والبقاء مخلِّفاً إبنيه المدعوَّين إسماعيل ومأموناً[١٧].

كلاش ودنشكاش بأبنه الثاني سورخاب بك وسروچك وقره داغ وشهر بازار ومهر وشؤون العشائر حتى العماديّة بابنه الثالث محمد بك.

(١٠) ورد في تأريخ السُّليمانيَّة وأنحائها نقلا عن (تأريخ سنه) إنَّ قلعة ضلم = زلم هذه شيِّدت عام ٥٦٤ هـ- ١١٦٨م بأمر من بابا أردلان ...» وتعرف اليوم باسم قلاي خان أحمد خان وتقع في وادي زلم على بعد تسعة كيلومترات من مركز ناحية خولمار= گول أحمر= گول عنبر. أما اسم زلم هذا فقد نشأ مما يعلو ماءه من المواد الَّتي تكوِّن طبقة مخاطية حمراء اللون.

(١١) لعَّلها نوسود كما جاء في التَّعليق السَّابق وهي قرية معروفة في منطقة هاورامان ضمن قضاء حلبجة الحالي.

(١٢) شميران: منطقة جبليَّة في جنوبي حلبجة تشرف على نهر ديالى - سيروان فيها أطلال تلك القلعة الحصينة الَّتي كانت قرب قرية شميران الحالية، حيث ينصبُّ ماء زلم وتانجرو في نهر ديالى.

(١٣) هاوار: لاتزال قرية معروفة في قضاء حلبجة الحالي يسكنها قسم من عشيرة الكاكائيَّة.

(١٤) سيمان: لعلَّها محرفة عن شيخان قرب نوسود السَّابقة وهي قرية معروفة فيها مزار سلطان إسحاق قديس الكاكائية.

(١٥) في تأريخ أردلان: دران والصَّواب دواوان (مخلط رافدين).

(١٦) گول عنبر: كانت بليدة تبعد عن مركز قضاء حلبجة الحالي ثمانية عشر كيلو متراً تداعت أركانها فلم تبق إلا آثارها، فبنيت على أنقاضها قرية صغيرة تدعى خولمار - خورمال هي الآن مركز الناحية، هذا وإنني أعتقد أن اسم (خول مار) المتطورة إلى (خورمال) هو الاسم الأصلي لكثرة الحيايا والافاعي بها ثم حورت في العهد العثماني إلى (گلعنبر) و (گل أحمر).

(١٧) يحدِّثنا مؤلِّف تأريخ السُّليمانية وأنحائها نقلا عن كتاب (گلشن خلفا) «إنَّ البيك هذا هرع لمقابلة السُّلطان سليمان خان القانوني حين توغَّل في شهرزور وإنَّه وضع ابنه مأمون بك رهينة لديه ليأتمن به دفعاً للرَّيب والشُّكوك، فسلَّم السُّلطان ابنه إلى سليمان پاشا والي بغداد فأناط به الوالي

١١- مامون بك بن بيك بك

لَمَّا تمكَّن بكفايته من تسلُّم عرش الحكومة مكان والده ومضت على تقلُّده زمام السَّلطنة سنة واحدة، سيَّر السُّلطان سليمان خان[١٨] سلطان حسين بيك حاكم العماديَّة مع بعض الأمراء الأكراد لاحتلال ولاية شهرزول - شهرزور، فشرع سلطان حسين بيك حاكم العماديَّة امتثالا لأمره في إستخلاص تلك الولاية، فأغار عليها وحاصر حاكمها مأمون بك في قلعة ضلم - زلم. ثمَّ بعدما بذل الجهود الضَّائعة، تشبَّث بالصُّلح حتى تمكَّن من إقناع مأمون بك، فأخرجه من القلعة وأرسله إلى الآستانة[١٩]. وبعد أن أسر مأمون بيك، نهض عمُّه سرخاب وأخذ يضيف ولايته

إمارة بعض السَّناجق وكان آخر إمارة أناطها به سنجق الحلَّة - لعلَّها حلبجة الحالية راجع مذكرات مأمون بك بن بگه بك، ترجمة محمد جميل الروژبياني وشكور مصطفى - هذا ولا ريب أنَّ ميجر لونگريك يعني هذا عندما يقول في (ص٢٢) من كتابه: إنَّ أردلان خفت إلى أتباع الدَّولة العثمانيَّة بعد موقعة چالديران (المترجم).

(١٨) هو السُّلطان سليمان خان بن السُّلطان سليم خان عاشر السَّلاطين العثمانيِّين، ولد عام ٩٠٠ هـ - ١٤٩٤م وتقلَّد السَّلطنة في ٩٢٦هـ- ١٥٢٠م وتوفِّي سنة ٩٧٥هـ-١٥٦٧م فكان جبّاراً شديد المراس طماحاً إلى المعالي. وصلت الدَّولة العثمانيَّة على عهده إلى ذروة المجد والقوَّة فاستولى على بلاد كثيرة من أورپة وآسية. وباسمه استولى الزَّعيم الكردي ذو الفقار خان حاكم كلهر رئيس عشيرة موصلو الكرديَّة على بغداد وتقلَّد حكمها ردحاً من الزَّمن بحزم وحنكة.

(١٩) يحدِّثنا السيد محمد أمين زكي بك في كتابيه التأريخييَّن عن هذه الحادثة على الصُّورة الآتية: «كان مأمون من الأمراء المرتبطين بالدَّولة الصَّفوية ارتباطاً سياسياً وقد تدرَّج في توسيع نفوذه حتى امتدَّت حدود بلاده إلى الزَّاب الصَّغير فشملت هاورامان، شهرزور، قره داغ، سهول گرميان- أي الأراضي الواقعة بين جبال قره داغ - طريق كفري - كركوك فساء هذا التَّوسُّع الحكومة العثمانيَّة وأقلق بالها، فأرسل أولاً قوَّة من الإنكشارية «يكي چري = العسكر الجديد» إلى كركوك ثمَّ اهتبل فرصة تعرُّض العشائر الشَّهرزوريَّة لطريق بغداد فجرَّد عام ٩٤٥هـ- ١٥٣٨م جيشاً لغزو مأمون بك بقيادة حسين پاشا وكان أكثر أمراء هذا الجيش أكراداً، كان من بينهم سلطان حسين حاكم العماديَّة وقد استهدف هذا الجيش احتلال مريوان وسنندج - أو على الأقل شهرزور- وما كان من مأمون بك إلاّ أن دافع عن بلاده دفاعاً مستميتاً وأخيراً انسحب إلى قلعة ضلم - زلم فضيَّق الجيش العثماني عليه خناقه. فلمّا أدرك إخفاقه في المقاومة هرب إلى الآستانة مستنجداً بالسُّلطان وأخذ الجيش العثماني يتوغَّل في بلاده فينهبها ويدمِّرها. وأخيراً شيَّد بها السُّلطان حسين قلعة گلعنبر هذا مع العلم أنَّ قلعة گلعنبر الَّتي بني على أطلالها قرية خولمار- خورمال الحالية كانت موجودة على عهد بيكه بك والد مأمون بك قبل ذلك اليوم بما يقارب ثلاثين سنة.

الشاملة مناطق «لوى[٢٠] ومشيلة(مشعلة) ومهران[٢١] وتنوره وكلوس ونشكاش» إلى مملكته ويعرض احتماءه على الشاه طهماسب. فلمَّا أدرك السُّلطان سليمان خان براءة مأمون بك مما نسب إليه، أخرجه من السِّجن، وأقطعه سنجق الحلَّة[٢٢] من أعمال مدينة السَّلام «بغداد »على سبيل الملكية مدى حياته. هذا ولايزال السِّنجق المذكور إلى يومنا هذا - ونحن في السَّنة الخامسة والألف - تحت تصرفه، وهو قائم منذ مدَّة غير وجيزة بإدارة شؤون حكومته بجد وحزم. ومتمتعاً في قضاء أوقاته بالسَّعادة والرَّفاه. كما أن سنجق سروچك أنيط، من الدِّيوان العثماني، بأخيه إسماعيل بيك، فتولّى شؤونه ردحاً من الزَّمن حتى لحق بجوار ربِّه.

١٢- سرخاب بك بن مأمون بك

وكما يظهر مما أوضحناه سابقاً أنَّه بعد ما أسر إبن أخيه مأمون بك، إستولى على شؤون الحكومة في شهرزول - شهرزور و ضلم - زلم، واستقلَّ بحكومتهما، وإستولى على حصَّة أخيه محمد بك، وضمَّها إلى ولايته الموروثة[٢٣]. وبقى هكذا

---

(٢٠) ضبطه السيد محمد أمين زكي بك بلفظة نوى - بالنون - قائلاً: «إنَّها كويسنجق الحالية مركز إحدى أقضية أربل... والصَّواب أنَّها كانت في وديان جبل سورين على الجانب الغربي من نهر سيروان وقد عثر «الجندي المجهول» المحقق الآثاري «عبدالرقيب يوسف» على أطلال البلدة وكتب عنها تحقيقاً وافياً، يعتقد سكان المنطقة أنَّها كانت بلدة «الضَّحَّاك» الَّذي ثار عليه كاوه الحَّداد. ولا شكَّ أنَّها من الأساطير التي حفظ بها الكاكائيون، وإنَّ سهاك المتطوِّر إلى إسحاق إنما هو الملك الَّذي عاش في هذه البلدة وعاث في الأرض فساداً وأقام المذابح والمجاز في أبناء الشَّعب الكردي.

(٢١) هي منطقة مريوان الحالية من مضافات سنه = سنندج في ولاية أردلان القديمة في إيران وهي تتاخم ناحية پنجوين في لواء السُّليمانية.

(٢٢) لاشكَّ أنَّ (حلّه) هذه ليست مدينة الحلَّة الواقعة في جنوبي بغداد - الَّتي زارها الرَّحالة ابن بطوطّه وذكر أنَّ نصف سكَّانها أكراد - إذ لا مناسبة بينها وبين سروچك - برزنجه إنَّما هي - كما يظهر لي - نفس بليدة حلبجة الحالية وقد دخلها التَّحريف. ولايبعد أن تكون قَّد أسَّسها الجاوانيون الذين نجوا من مذابح هولاكو بالعودة إلى كردستان وسمَّوها (حله به چة) أي الحلة الصغيرة.

(٢٣) أقدم على ذلك بعد أن أبرم ميثاق الولاء والتَّحالف مع الشَّاه طهماسب لكن ذلك استشاط غضب السُّلطان سليمان القانوني فأصدر الأمر بتسريح ابن أخيه مأمون بك ومنحه سنجق الحلَّة

حتى سنة ست و خمسين وتسع مئة (١٥٤٩م) [أي إلى أن أخذ القاص ميرزا[٢٤] أخو الشَّاه طهماسب الذَّي كان متزعِّما يطالب بالسَّلطنة، وقد لاذ بالفرار ملتجئا إلى السُّلطان سليمان خان، ولبث في حماه أمداً بعيداً، ثمَّ أدرك أنَّ السُّلطان مهمل لأمره ومقصّر نحوه وشكَّ في أمره[٢٥] فوسَّط سرخاب بيك لدى الشَّاة طهماسب ليشفع له ويبرم بينهما صلحاً، على أن يردَّ له الشَّاه طهماسب ولاية شيروان على النمط السابق، فلا يتعرض له أحد، وعرض سرخاب الامر الشاه طهماسب الذَّي عدَّ ذلك فوزاً عظيماً، فأوفد نعمة اللّه القهستاني مع لفيف من الأمراء والأعيان من القزلباش ليبحثوا عن ألقاص ميرزا، وطفقوا يبحثون عنه، فتمكَّنوا من إحضاره أمام أعتابه، فأصدر فوراً أمراً بزجِّه في السِّجن مكبَّلاً مغلولاً، فأخذ إلى قلعة القهقهة، فصفِّد فيها، حتى إذا مضى عليه فيها عام صدر الأمر الَّشاهي برميه من أعلى القلعة، فنفِّذ الأمر، وأهلكت حياته، ثمَّ فرض له (اي سرخاب بك) الشَّاه طهماسب جائزة سنوية قدرها ألف تومان[٢٦] على أن يتقاضاها من الخزانة العامرة،

وإسناد سنجق سروچك إلى أخيه إسماعيل ليتمكَّنا من إقلاق باله وزعزعة مكانته ولكَّنهما لم يتمكَّنا من أن يقوما بشيء من ذلك.

(٢٤) هو ألقاص ميرزا أصغر أنجال الشَّاه إسماعيل مؤسس الدَّولة الصَّفوية في إيران. كان أخوه الشَّاه طهماسب ولاّه حكم شيروان وفيما دخل المعمعة مع الگرج انتهز الفرصة فشقَّ عصا طاعته وأعلن عن اُستقلاله بالملك. إلاَّ أنَّ أخاه الشَّاه زحف عليه بقوة كبيرة اضطرته للهروب نحو داغستان حيث لم يلبث أن امتطى متن باخرة في ميناء كفه وسار إلى الآستانة حيث عرض التجاءه على السُّلطان سليمان خان آملاً أن ينجده فيستولي على عرش إيران.

(٢٥) في (أخبار الدِّول): «أن القاسپ «كذا» ميرزا لمّا فرَّ إلى الآستانة، أكرمه السُّلطان، وأنعم عليه بهدايا ثمينة، ووعده بتخليص بلاد أبيه من أخيه الشَّاه طهماسب وتوليته إياها. وفعلاً جرَّد معه الجيوش إلى بلاد إيران، ثمَّ زحف بنفسه عليها، حتى إذا استولى على كثير من بلدانها، فوضعه حاكماً على عرش تبريز. بيد أنَّه خان السُّلطان أخيراً، وأرتكب مخالفات عدَّة، الأمر الَّذي حمل السُّلطان على أن يطلب قدومه إلى الآستانة، فرفض طلبه، وشقَّ عصا طاعته، فسيَّر إليه جيوشاً، فلم يكن منه إلاّ أن لاذ بالفرار إلى بلاد الأكراد فبقي بها إلى أن تمكَّن منه أخوه الشَّاه فقتله أشنع قتلة... وقد أورد السيد محمد أمين زكي بك هذه القصة على الصورة التالية نقلاً عن تأريخ عالم آراى عباسى: «في عام ٩٤٨هـ وقع ألقاص ميرزا في أيدي جنود الكرد، فأخذوه إلى سرخاب بك فاضطر سرخاب أن يسلِّم ألقاص إلى القوة الإيرانية ويجنِّب بلاده غزو الجيش القزلباشي...».

(٢٦) في تأريخ أردلان: «عشرة آلاف تومان».

فكان يتقاضى المبلغ المذكور طوال حياته ولم ينقص شيئاً. وقد عاش دهراً مديداً لم يزل خلاله منحازاً إلى الشَّاه طهماسب متَّجهاً معه مسلك الولاء الخالص والصَّداقة التَّامة[٢٧] وتمتَّع بالحكم سبعاً و ستين سنة[٢٨] ثمَّ قضى نحبه معقباً أحد عشر ولداً، هم: حسن وإسكندر وسلطان علي ويعقوب وبهرام و بساط و ذوالفقار واسلمش وشاه سوار وسارو وقاسم.

١٣- محمد بك بن مأمون بك

بعد أن توفِّي أبوه تقلَّد زمام الحكم في سروچك[٢٩] وقراطاق - قره داغ[٣٠] وشهر بازار - شارباژير[٣١] وآلان[٣٢] ودمهران[٣٣] الَّتي كان حصَّته الوراثيَّة،

(٢٧) أورد السيد محمد أمين زكي بك في كتابيه التأريخيين معلومات إضافيه لابدَّ من إجمالها هنا: «هي أنَّ الباب العالي لمّا سمع بحادثة غزو شهرزور، وأسر ألقاص ميرزا غضب على علي پاشا والي بغداد، وأصدر الأمر بعزله لضعفه وتقصيره في واجباته، وعيَّن مكانه محمد پاشا البلطچي والياً (٩٥٦هـ - ١٥٤٩م) كما جرَّد جيوشاً جبَّارة بقيادة عثمان پاشا-أمير أمراء حلب لاسترداد منطقة شهرزور، فسار على رأسها إلى قلعة زلم الَّتي كان سرخاب معتصماً بها، وحاصرها حصاراً طويلاً، إلا أنَّه لم يظفر بها وأخفق في مسعاه، ثمَّ سار محمد پاشا البلطچي بنفسه فتمكَّن بإسداء يد الإنسانيَّة إلى سرخاب بك والتَّفاهم معه بوساطة أميرين كرديَّين، هما بكر بك وولي بك أن يستميل خاطره، ويحمله على الاستسلام وجاء في «القرون الأربعة الأخيرة في العراق» مايقرب من هذا التفصيل، وأنَّ هذه المنطقة انتظمت في الممتلكات العثمانيَّة سنة ٩٦٢هـ(١٥٥٤م). إلا أنَّ ناجي إسماعيل بلستر الألباني الأصل الذي كتب «كتاب الكرد» باللغة الألمانية ونسبها إلى الدكتور فريج المزعوم زوراً، كما جاء في كتاب «بدرخانيو جزيرة بوتان» ومحاضر الاجتماعات العائلة البدرخانية، لماليسانژ/ ترجمة شكور مصطفى، يقول:ثمَّ إنَّ سرخاب استقلَّ بحكم بلاده، بعد فترة من الزَّمن رافضاً الاحتماء الايراني، ونجح في حكم البلاد، وقطع دابر الفتن...».

(٢٨) في تأريخ أردلان: ثلاثاً وستين سنة.

(٢٩) قلعة قديمة كانت مبنيَّة على تل عال بقيت آثارها للآن بالقرب من قرية برزنجة مركز الناحية المسمَّاة باسمها ضمن قضاء شهر بازار بلواء السُّليمانيَّة الحالي.

(٣٠) هي منطقة قره داغ الواقعة في الجنوب الشَّرقي من لواء السُّليمانيَّة.

(٣١) هي منطقة شهر بازار في شرقي لواء السُّليمانيَّة، فيها قرية قلا چوالان حاضرة حكومة بابان التأريخية المنهارة.

(٣٢) آلان: لعلَّها المنطقة المعروفة باسمها الواقعة في قضاء پشدر أو إحدى القلاع المندثرة في منطقة حلوان القديمة في أصقاع خانقين.

(٣٣) اعتبرها السيد محمد أمين زكي بك:(دلجوران)، ولكنِّي أراها(مريوان) الحالية.

فجلس على كرسي حكمها، ثمَّ رغب في الحصول على مملكته الوراثيَّة، فقصد أعتاب السُّلطان سليمان خان الذَّي لم يلبث أن سيَّر معه رستم پاشا الوزير الأعظم وعثمان پاشا أمير أمراء بغداد وبعض الأمراء الأكراد، وقد أناط بهم احتلال ولاية أردلان[٣٤]، فأغار الأمراء المذكورون عليها، وحاصروا قلعة ضلم - زلم الَّتي كانت من أمنع حصون الولاية، فامتدَّت أيام الحصار سنتين، فاتَّفق أن أصيب محمد بك بطلقة طائشة من بندقيَّة ناريَّة قضت على حياته[٣٥] في الوقت الَّذي وصلت فيه قوَّة وجَّهها (الشَّاه طهماسب) لإنجاد المحصورين وإسعافهم، فلم يكن من عثمان پاشا[٣٦] إلا أن رفع الحصار، وعرج على شهرزول - شهرزور حيث أدركه الأجل فتوفِّي بها . وفي هذه الآونة اهتبل المتحصِّنون، في قلعة ضلم - زلم الفرصة، فتخلَّوا عنهاوأعلنوا الفرار[٣٧] وقد حلَّت سنة تسع وستين وتسع مئة (١٥٦٢م) فعدَّ

---

(٣٤) يقول مؤلِّف تأريخ أردلان:«إنَّ سرخاب بك لم يدعه حاكماً، بل استولى على ملكه، ولذلك توجَّه نحو الآستانة، واستنجد بالسُّلطان سليمان الَّذي أمدَّه بكل من رستم وعثمان پاشا وبعض الأمراء الأكراد، فتوَّغلوا في شهرزور، وحاصروا قلعة زلم عامين، دون أن يتمكَّنوا من إحداث ثغرة فيها...» ولكنَّ السيد محمد أمين زكي بك يقول:«كانت الحكومة العثمانية مستاءة من ازدياد نفوذ محمد بك بن مأمون بك - الَّذي ظهر أخيراً على المسرح، عندما كان عمُّه سرخاب متَّفقاً مع الإيرانيين، ومنحته الدَّولة العثمانية سنجق الحلَّة بالرُّغم منه بعد أن سرَّحته من السِّجن، فإنَّه بعد أن تبسَّط نفوذه واستولى على بعض المناطق طلب إلى السُّلطان إسناد مملكته الوراثية إليه بصفته الوارث الشَّرعي وخالف الأوامر السُّلطانية فحمل ذلك الدَّولة على أن تسيِّر إليه هذه القوات.

(٣٥) يدَّعي مؤلِّف تأريخ أردلان: «إنَّ محمد بك بن مأمون بك هذا كان ضمن القوات العثمانيَّة وإنَّ قتله ومجيء القوات الإيرانية بقيادة حسين لالا لمساعدة المحصورين، زعزعا إيمان الجيش العثماني، فرفع الحصار وعاد أدراجه مخفقاً وأدَّى بالقائد عثمان پاشا إلى أن يسري فيه الهمَّ فيموت في شهرزور.

(٣٦) في تأريخ الدُّول والإمارات الكردية: «إنَّ رستم پاشا هو الَّذي عدل عن فتح قلعة زلم وعرج على شهرزور فتوفي بها.(وأعتقد أنَّه أخطأ في ضبط الاسم فإنَّ رستم پاشا توفِّي في ٩٦٨هـ وحلَّ محلَّه «سمز علي پاشا».

(٣٧) يقول مؤلِّف تأريخ أردلان: إنَّ المحصورين في قلعة زلم لَمَّا أدركوا إخفاق الجيش العثماني ورجوعه القهقرى، خرجوا من القلعة لشنِّ غارات النَّهب والسَّلب ولكنَّ محمد پاشا اهتبل فرصة خروجهم فكرَّ على القلعة واحتلها.

محمد پاشا بلطچي هذه الفرصة فوزاً عظيماً، فاقتحم القلعة واحتلّها وتمكّن، بسداد رأيه وحسن معاملته، من فتح القلاع والنَّواحي المرتبطة بالولاية المذكورة، ومنذ ذلك العهد دخلت ولاية شهرزور ضمن الممالك العثمانيَّة[٣٨] وعدَّت منها.

١٤- سلطان علي بن سرخاب

بعدما توفِّي أبوه تولَّى حكومة أردلان[٣٩]، ولم تكد تمضي على تقلُّده الحكم ثلاث سنين[٤٠] حتى أدركته الوفاة تاركاً إبنيه تيمور وهلو خان صغيريِّ السِّن، أما مآل حالهما، فيدرج طبقاً لما ظهر لمدون هذه الرِّسالة [ان شاء اللّه[٤١]].

١٥- بساط بيك بن سرخاب بيك

لَمَّا توفِّي أخوه سلطان علي بيك، تقلَّد مقاليد الحكم مكانه في أردلان، فتمكَّن من بثِّ روح السِّلم والإستقرار في الحكومة وإعادة المياه إلى مجاريها. أما إبنا سلطان علي: تيمور خان و هلو خان اللَّذان كانا سبطي منت شا سلطان[٤٢] الإستاجلوي، فقد بلغا حدَّ الرُّشد، ونهضا يطالبان بحكومتهما الوراثيَّة. وللحصول عليها قصدا مقام الشَّاه إسماعيل الثّاني. ولَّما توفِّي الشَّاه المذكور أخذ تيمور خان، وكان أكبر الولدين سناً، يطلق يد النهب والسَّلب في بلاد بساط سلطان وطفق

---

(٣٨) في تأريخ الدُّول والإمارات الكرديَّة: إنَّها أُنتظمت في الممالك العثمانية سنة ٩٦١هـ(١٥٥٣م) ولعلَّه يعني قبل أن يستقلَّ بها سرخاب للمرَّة الثَّانية.

(٣٩) وفي سنة ٩٤٦هـ سيَّر الشَّاه طهماسب بهرام ميرزا و گوگچه سلطان قاجار للإغارة على ولاية كردستان، فما كان من والي الولاية سلطان على (بتنليج؟) إلاّ أن لاذ بالفرار، فقام المجاهدون (؟!) بنهب الولاية وسلب الأموال فحصلوا على غنائم كثيرة رجعوا بها إلى تبريز (أحسن التواريخ ١٢/٣٨٠) حوادث٩٤٦هـ.

(٤٠) يقول مؤلِّف تأريخ أردلان: إنَّه تمكن، بنضال استمرَّ ثلاث سنين، أن يتقلَّد زمام الحكم ولكنَّه توفِّي في السَّنة نفسها ويرى السيد محمد أمين زكي بك أنَّ أمد حكمه طال سنة واحدة.

(٤١) أورد مؤلِّف تأريخ أردلان ذكر بهرام بك بن سرخاب في جدول الأمراء بعد ذكر أخيه سلطان علي وقال: أناط به والده على عهد حياته إمارة العمادية ولايزال حفدته حكام منطقة رواندوز، كويسنجق، حرير للآن ... الخ». وكذلك أورد مستر لونگريك ذكره في كتابه (ص٤٨) قائلاً «أرسل سرخاب بك إبنه بهرام حاكماً إلى راوندوز فأسَّس فيها سلالة ثبتت زهاء ثلاثة قرون...».

(٤٢) في تأريخ أردلان: «منت سلطان».

يخترق حدود مملكته بشنٍّ غارات النهَّب عليها. فأسفر ذلك عن انتشار نيران الحرب بينهما. ولم تزل نار الخصومة المستعرة بينهما متأجِّجة حتى وفاة بساط سلطان والتحاقه بجوار ربِّه.

١٦- تيمور خان بن سلطان علي

لَمَّا دالت حكومة بساط سلطان، نهض ابن أخيه تيمور خان يتقلَّد شؤون حكومة أردلان[٤٣]. وفي سنة ست و ثمانين وتسع مئة (١٥٨٠م) عرض طاعته على السُّلطان مراد خان، فكوفيء بمنحة قدرها مئة ألف آقچة عثمانيَّة من الخواص الهمايونيَّة التَّابعة لولاية شهرزول - شهرزور، وأُنيطت سنه - سنندج وحسن آباد وقزلجة قلعة[٤٤]- بعد اعتبارها سنجقاً - بابنه الكبير سلطان علي وقراطاق - قره داغ بابنه الآخر بوداق، ومهروان - مريوان بابنه الآخر مراد وشهر بازار - شارباژير بأصغر أبنائه[٤٥] وعني بتوسيع مملكته فنزع دينور من المملكة القزلباشية «إيران» وضمَّها إلى ولايته. هذا وقد منح لقب أمير الأمراء «ميري ميران» ورتبة الباشويَّة فصار يدعى تيمور پاشا. ثمَّ سوَّلت له الوساوس الشَّيطانيَّة والأوهام الغرَّة النَّفسانيَّة أن يبغي السَّلطنة المستقلة والتَّفرُّد بالملك، ويرفض الإنحياز إلى جهة ما، فأخذ يلعب على حبل السِّياسة المتلوِّنة، فيظهر نفسه منحازاً للحكومة العثمانيَّة تارة، وللدَّولة

---

(٤٣) يقول مؤلِّف تأريخ الدُّول والإمارات الكرديَّة: «إنَّ تيمور خان لم يترك لعمِّه (بساط) فرصة يستريح فيها، بل واصل الكفاح والنِّزال ضدَّه بتعضيد من الحكومة العثمانيَّة حتى دحره وتمَّ له الإستيلاء على الإمارة بكاملها...» إذن كان إستيلاء تيمور على الحكم قبل وفاة بساط لا بعده (المترجم).

(٤٤) هي قرية قزلجة الحالية من القرى المرتبطة بناحية بنجوين :تنسب إليها أسرة علمية عريقة أشهرهم الملا علي القزلجي صاحب التَّآليف الكثيرة في مختلف العلوم ولا سيَّما في علم المنطق. ومنهم حاليهم الفاضل الملاُ محمد القزلجي مؤلِّف (التَّعريف بمساجد السُّليمانية) هذا، وزاد مؤلِّف تأريخ أردلان: إضافة إلى ماتقدَّم من المناطق قلعة زلم أيضاً... وكانت هذه التوليات سنة ٩٨٨هـ-١٥٨٠م.

(٤٥) يسمِّيه السيد محمد أمين زكي بك: بدر خان أما مؤلِّف تأريخ أردلان، فإنَّه يسمِّيه علم الدِّين، ويضيف إلى ذلك «أنَّ تيمورخان احتفظ لنفسه بمناطق:دينور وكرمنشاه وسنغور وزرين كمر المعروفة اليوم باسم گروس وغيرها...».

الإيرانية تارة أخرى، وطفق يتطاول على الحكام المتاخمين له وللأمراء المجاورين له، ويطلق يد النَّهب والسَّلب في أنحاء بلادهم، حتى إنَّه لم يقف عند ذلك الحد، بل تمادى في طغيانه فشنَّ غارة شعواء على بلاد ابن عمر بيك[٤٦] حاكم الكلهر، فسمع بذلك شاه وردي[٤٧] حاكم لرستان فأزمع أن ينجده، وجاء يذهب بالإتفاق معه، لقطع سبيل تيمور بك، عندما شنَّ غارة انتهابيَّة على منطقة الكلهر. وفيما عاد سالماً غانماً، برزا إليه من معقلهما، ففتكا بجيشه الفتك الذريع، وقتلا كثيراً من أمراء جيشه، وأعيان مملكته، كما ظفرا بشخصه في المحلِّ المدعو خسر - قصر فأسراه واحتفظا به بضعة أيام مصفَّداً مقيَّداً، ثمَّ حنا عليه فأفرجا عنه وأطلقاه. بيد أنَّه لم يتَّعظ ولم يثب إلى رشده.

dF

خوى بد در طبيعتى كه نشست نرود تا بروز مرگ از دست

(أي أن الخلق السَّيء إذا تمكَّن من أحد، لا ينجلي عنه، إلى يوم الموت)

بل وجَّه همَّه، إلى احتلال زرين كمر -گروس ومضافاتها، وقد أنيطت من ديوان الدَّولة القزلباشيَّة «إيران» بالشَّخص المدعو دولتيار سلطان رئيس عشيرة سياه منصور[٤٨] فلَّما زحف عليها، نشبت بينهما حرب ضروس، وأريقت دماء غزيرة، ولم تنته سنة ثمان وتسعين وتسع مئة (١٥٩١م) حتى قتل، فقام أخوه هلو خان مقامه.

١٧- هلو خان بن سلطان علي بن سرخاب

لَّما تبوأَ مكان أخيه متقلِّداً زمام حكومة أردلان، بادر بعرض طاعته على السُّلطان مراد خان من جهة، وأبرم معاهدة الصَّداقة وحسن الجوار مع الدَّولة القزلباشيَّة من جهة أخرى، وبذلك تمكَّن من النُّهوض بحكومته والاستقلال بها، وإن كان مستبداً برأيه فوق التَّصور. والآن وقد دخل التأريخ الهجري عامه الخامس بعد

(٤٦) لعلَّه قباد بيك بن عمر بيك حاكم درتنك الَّذي كان يتولَّى إدارة بلاده بالإستقلال التَّام، وكان معاصراً لمؤلِّف شرفنامه. هذا ولم يورد كل من إسماعيل بن الملاّ محمد حسين مؤلِّف تأريخ أردلان والسيد محمد أمين زكي بك:لفظة «ابن».

(٤٧) هو شاه وردي خان بن محمد حاكم اللَّر الصُّغرى، وهو الَّذي زحف عليه الشَّاه عباس الصَّفوي فاحتلَّ بلاده.

(٤٨) هو دولتيار خان بن خليل بك ابن مؤسِّس إمارة سياه منصور.

الألف (١٥٩٦م) فإنه لا يزال قائماً بإدارة تلك البلاد من غير منافس ومنازع[٤٩].

(٤٩) هنا تنتهي الأخبار الَّتي حصل عليها المؤلِّف فيما يتعلقّ بالحكومة الأردلانية. ولم يحصل السيد محمد أمين زكي بك على مايعتدُّ به من المعلومات عن عهد هلوخان، كما أنَّ مستر لونگريك لم يورد اسمه بتاتاً، ولم يزد على أن قال: «وفي سنة ١٠٠٩هـ - ١٦٠٠م» تبدَّلت الريِّاح من جديد، فقد حاول خليفة تيمور الاستقلال بملكه غير أنَّه أخفق وخضع لسلطان الشَّاه عباس = الصَّفوي...» فلم يبق لنا إلاّ أن نعتمد على تأريخ أردلان لمؤلفِّه إسماعيل بن الملا محمد حسين فإنَّه يقول: «إنَّ هلو خان عني بشؤون حكومته، فتقدَّم بها عمرانياً واقتصاديا وثقافياً، فقد عمَّر إضافة إلى قلعة زلم الَّتي كان مقر حكمه ثلاث قلاع أخرى هي: قلعة پلگان الَّتي كانت حاضرة الجوران-گوران وقلعة حسن آباد المشيَّدة على أعلى قمة شاهقة وقلعة مريوان وجمع أموالاً طائلة ملأ بها خزائنه وشاد كثيراً من المساجد والمعابد والمدارس في البلدان الكردية الخاضعة له، ونشر العلم، والأمن والأمان في أنحاء مملكته. وتفرد بملكه من دون أن ينحاز إلى الحكومة العثمانية أو الدَّولة الإيرانية، وكانت حكومة قوية ذات مهابة.بحيث أنَّ الشَّاه عباس الصَّفوي لمّا أزمع غزو بلاده وسار إليها حتى وصل = إلى سهيم [ضبطها (ن.آزا): بلفظة ميهه م في مقاله التأريخي المنشور في العدد السَّادس من مجلة گلاويژ للسَّنة السَّادسة: ثمَّ قال «إنها قرية في شرقي سنه = سنندج على بعد ٩٥ كيلو متراً منها] القريبة من همدان وعسكر بها، نصحه على بالي الزِّنگي المقرَّب لديه ألاّ ينافحه ولايشتبك معه في الحرب لئلا يخفق، ويعود عليه إخفاقه بالخيبة والفضيحة. فما كان من الشَّاه إلا أن عاد أدراجه، وأخذ يتوسَّل بشتى الَّدسائس للظَّفر به، وطفق يراسله ويتظاهر له بالولاء والودِّ، ويطلب منه إرسال ابنه خان أحمد إلى إصفهان ليبقى في البلاط الشَّاهاني فلبَّاه هلو خان إلى ذلك، وجهَّز ابنه أحمد بالتَّجهيزات الَّلائقة وبهدايا فاخرة أهداها إلى الشَّاه. فلمّا وصل خان أحمد خان أكرمه الشَّاه واحتفى به وبالغ في الإنعام عليه حتى أنَّه زوَّجه أُخته زرين كلاه ورفع درجته ومنحه داخل القصر السُّلطاني قصراً فخماً يسكن فيه. وأخذ ينيط به جسيمات الأمور. ولم يكن كلُّ هذا الاعتناء إلاّ لإقناعه وحمله على أن يسير لغزو بلاد أبيه ويأسره. وبعدما أقنعه وعاهده على تنفيذ مبتغاه عيَّنه والياً عاماً على المناطق الكرديَّة، وسيَّره من إصفهان إلى كردستان مجهَّزاً. وكان أبوه هلو خان آنئذ في قلعة حسن آباد المحصَّنة فجاء يغزو بلاده ويكتسحها، حتى إذا حاصر قلعة حسن آباد تحصَّن أبوه فيها أمداً طويلاً من دون أن يظفر به وأخيراً أدَّت خيانة عقيلته وهي والدة خان أحمد خان بالاشتراك مع الشَّخص المدعو الملاّ يعقوب المقرَّب لديه، إلى أن تتمكَّن قوات خان أحمد خان من الظَّفر بالقلعة واقتحامها واحتلالها والقبض عليه فيها. وهكذا أسر خان أحمد خان أباه هلو خان وبعث به إلى إصفهان. فلم يكن من الشَّاه عباس إلاّ أن أعزَّه واحترمه ومنحه قصراً فخماً يسكنه، على ألاّ يبارح العاصمة فلبث فيها حتى وفاته. ثمَّ انتقلت حكومة أردلان وشهرزور بعده إلى ابنه خان أحمد خان. وذلك بتأريخ ١٠٢٢هـ (١٦١٢م). هذا ويقول (ن.آزا): إنَّ هذه الحوادث وقعت سنة ١٠٢٥هـ(١٦١٥م) ولكن هلو خان بعد أن عاهد الشَّاه ألاّ يطالب بحكومة بلاده مرَّة أخرى أطلق

سراحه فرجع إلى أردلان وتوفّي بها ». وبحسب رواية كل من السيد محمد أمين زكي بك ومستر لونگريك: إنَّه حلَّ مكانه سنة ١٠١٤هـ(١٦٠٥م).

١٨- خان أحمد خان

بعد أن تقلّد الحكم واتَّخذ (سنه = سنندج) عاصمة ملكه وانصرف بجهده إلى توسيع نفوذه، فأخضع قبائل بلباس وعشائر مناطق مكري بعنف وعناء بالغين، نصَّب أمراء على ساوجبلاق - سابلاغ ومراغه وأرميه - ورضائية، ثم سلك السبيل نحو كويسنجق وحرير، وقد استهدف إخضاع العشائر الكائنة فيها، وفي أنحاء راوندوز ومنطقة العماديَّة فأخضع تلك المناطق بكاملها، ووضع فيها أمراءه حكاماً... وخصَّ من بينهم أولاد عمِّه بهرام بن سرخاب بك الَّذين فقدوا سيطرتهم على تلك الأنحاء بالتَّولية على المناطق التَّالية، فقد نصَّب (قره حسن) حاكما على راوندوز وخالد بك أميراً على خوشناو = شقلاوة وعثمان بك على قسم من مناطق العماديَّة وسنجار. ويدَّعي مؤلِّف تأريخ أردلان: «إنَّه زحف بعد ذلك على عشيرتي خالدي وطاسني = داسني اليزيديتين. وأنه اشتبك معهما في حروب عنيفة أسفرت عن خسائر كثيرة في الأموال والأرواح من الطَّرفين. ولا سيَّما أنَّ الجيش الأردلاني فقد أحد أمرائه العظام المدعو علي بك زلم. وأخيراً ظفر بهما خان أحمد خان وأخضعهما، وترك في مناطقهما قوات كافية، وتوجَّه بنفسه إلى الموصل. وفيما اقترب منها لاذ الوالي عليها بالفرار إلى حلب ووفد أعيان البلدة ووجهاؤها على الأمير الأردلاني الَّذي عسكر في محلِّه ثلاثة أيام، ثمَّ أزمع على الدُّخول في المدينة، فزار النبي يونس (عليه السلام) ودخل المدينة ظافراً، وأعلم الشَّاه عباس بالأمر. وفيما بلغه هذا النَّبأ السَّار، راسله بشأن الإغارة على بغداد أيضاً، فلبَّاه وزحف عليها، وحاصرها = سنة ونصف سنة، فلم يتمكَّن من فتحها، إلا أنَّه تمكَّن أخيراً بواسطة بكر بك صوباشي من احتلالها. فسلَّم أمرها إلى قوَّاد الشّاه عباس، ورجع بنفسه ليحتلَّ كركوك وأنحاءها، وبعدما تمَّ له فتح هذه الجهات، رجع إلى مقرِّ حكمه قلعة زلم، ودام حكمه على شهرزور وكركوك والموصل سبع سنوات...».

هذا ولم يورد مستر لونگريك في هذا الصَّدد ذكراً لخان أحمد خان، بل قال: في(ص٤٩) «إنَّ المؤرِّخين التُّرك والعراقيين نفوا بسكوتهم، إستيلاءه النَّاجح على الأراضي العثمانية ... الخ». أمَّا السَّيد محمد أمين زكي بك فقد أثبت هذا البحث قائلاً: «إن خان أحمد خان كان هو وجيش أردلان مع الشَّاه عباس في إغارته على بغداد عام ١٠٣٤هـ (١٦٢٤م) حيث زحف بجيشه إلى كركوك، فاحتلَّها بعد قتال قصير الأمد، واستولى على جميع مناطق شهرزور، وبذلك امتدَّ نفوذه من غربي العماديَّة حتى حدود كرمنشاه وهمذان ومن لرستان حتى بحيرة أرمية...».

ثمَّ إنَّ خان أحمد خان لم يزل متمتِّعاً بالحكم على المناطق الَّتي أخضعها على عهد الشَّاه عباس. وفيما توفِّي الشَّاه سنة ١٠٣٩هـ (١٦٢٩م) وزحف الجيش العثماني بقيادة خسرو پاشا - الصَّدر الأعظم لاسترداد بغداد. وبلغ أنحاء الموصل، وتقدَّم إلى كركوك، ثم توجَّه إلى شهرزور، وقدَّم له الطَّاعة كل من سيدي خان حاكم العمادية ومير بك أمير الصُّهران - سوران، وحظي بزيارته الكثير من بيگات أردلان، خانات كردستان، كان خان أحمد خان لايزال حفيظاً على

صداقته للحكومة الإيرانية، وجاء من همدان بجيش قوامه أربعون ألفاً لصدِّ زحفه. هذا على رأي السيد محمد أمين زكي بك ومستر لونگريك، ولكنَّ (مؤلِّف عثمانلي تاريخي) يدَّعي في كتابه (٢/٥٥٣-٥٥٥): «إنَّ خان أحمد خان أيضاً عرض طاعته عليه مع جملة من المشايخ والأمراء بضمنهم تيمور خان حاكم سروچك وإبراهيم خان حاكم (خزو؟) ومحمد خان غير أنَّ خان أحمد خان وبيگات الأكراد، عندما رأوا اندحار خسرو پاشا وإخفاقه في حصار بغداد، إنحازوا إلى الجهة الايرانية. ثمَّ زحف خان أحمد خان بجيش إيراني قدره ثلاثون ألفا إلى شهرزور فاحتلَّها، وجرح حاكمها مصطفى پاشا الأرناؤوطي «الألباني...»».

وأخيراً اختلف خان أحمد خان مع الشَّاه صفي حفيد الشَّاه عباس وخليفته في الحكم. وسبب ذلك، كما يرويه مؤلِّف تأريخ أردلان، وينقله السيد محمد أمين زكي بك عن فون هامر هو: «إنَّه كان للأمير خان أحمد خان من زوجته زرين كلاه ولد محبوب، إسمه سرخاب بيك طلبه خاله الشَّاه عباس إلى إصفهان ليتربّى في بلاطه. وكان لايزال هناك بعد وفاته أيضاً، وفيما كان شاه وردي خان حاكم اللر جالساً ذات يوم مع الشَّاه صفي، وكان خصم خان أحمد خان اللدود، ورأى إبنه هناك، أزمع أن يوغر قلب الشَّاه عليه وعلى أبيه، فقال: «إن سرخاب بدهائه وذكائه وجدارته، لائق لأن يخلفك في الحكم...!!». فآلمت كلمته هذه الشَّاه، فلم يكن منه إلاّ أن سمل عيني سرخاب. فلمّا بلغ هذا النَّبأ الفاجع خان أحمد خان طار عقله وذهب لبُّه، فثار على الحكومة الإيرانية و غزا مناطق همدان وكرمنشاه وبروجرد ونهاوند وگروس، فطرد منها الأمراء القزلباشيِّين واحتلَّها جميعاً، وأعلن عن انحيازه إلى الحكومة العثمانيَّة. فلم يكن من الشَّاه صفي إلاّ أن سيَّر إليه جيشاً عرمرماً بقيادة كل من زينل خان و سياوش خان، فاشتبك الفريقان في سهل مهربان – مريوان ووصلت إلى خان أحمد خان نجدة من الحكومة العثمانيَّة، بقيادة منوچهر خان. فاندحر جيش إيران في باديء الأمر، ومنوا بخسائر كبيرة في الأرواح والأموال، ولكنَّهم قاوموا حتى غلبوا جيش خان أحمد خان فقتلوا كثيراً من الأكراد والجيش العثماني، ودحروهم دحراً فظيعاً. فترك خان أحمد خان منطقته وتوجَّه = نحو الموصل، فعرض كوچك أحمد پاشا أمره على الباب العالي، فمنحه رتبة أمير الأمراء «بگلربگي» والأوسمة والشَّارات، وخلع عليه خلعا فاخرة، وسار معه أحمد پاشا بجيش عظيم إلى إيران. فاصطدم الجيش العثماني بجيش إيران الَّذي كان يقوده رستم خان في أردلان، واستمرَّت الحرب بينهما يومين، فجرح أحمد پاشا، وتوفِّي على أثره في شهرزور، ورجع خان أحمد خان إلى الموصل مخفقاً فسرى فيه الهمُّ والحزن، فتوفِّي سنة ١٠٤٦هـ (١٦٣٦م) ودفن في مقبرة النبي يونس عليه السلام.

١٩- سليمان خان بن الأمير علم الدّين بن تيمور بك

كان والده الأمير علم الدِّين قد التجأ إلى الحكومة العثمانيَّة على عهد خان أحمد خان، واستخدم في البلاط السُّلطاني، وتوفِّي هناك. وكان سليمان نفسه يتولَّى إمارة بعض السناجق بأمر من خان أحمد خان، ولكنَّه لمّا كان يقظا نبيها ذا دراية، هابه خان أحمد خان وأضمر في نفسه قتله. فلمّا أدرك أنَّ الخان ينتهز الفرصة لقتله، لاذ بالدَّولة الإيرانية، وقضى ثمَّة وقتاً طويلاً

ببؤس وشقاء، حتى إذا حدثت واقعة روان - أريڤان، أبدى في تلك المعارك بسالة إستحق بها التَّقرُّب لدى الشَّاه، وأخذ يتدرَّج في التَّرقِّي يوما فيوما. وما إن توفِّي خان أحمد خان حتى منح ولاية أردلان، فتولَّى الحكم بها، وراح تلبية لأمر الشَّاه يدمِّر قلاع: پلنگان، حسن آباد، ضلم - زلم، ويتَّخذ سنه = سنندج عاصمة لملكه، فعمَّرها وبقي متمتِّعا بالحكم زهاء اثنين وعشرين عاما. ثمَّ لمَّا حمل السُّلطان مراد العثماني على بغداد، ووجَّه خسرو پاشا - الصَّدر الأعظم إلى المناطق الكردِّية، وكان قد استمر في زحفه حتى بلغ مريوان، ونزع مناطق شهرزور وقزلجة وشهربازار وقره داغ من حكومة أردلان عندئذ لم يبق في تصرُّف سليمان خان إلاّ مناطق سنندج ومريوان وهاورامان وبانة و عشيرتا سياه منصور والجاف. وكان يفكِّر في مواصلة النِّضال لإرجاع بلاده، ولكن شاه إيران اشتبه في أمره، فطلب توجُّهه إلى إصفهان، وأمر بإيداعه في السِّجن، وتقسيم المناطق الكردِّية الخاضعة له، كما يلي فنيطت منطقة سنه - سنندج بابنه كلب علي خان، ومنطقة مريوان بابنه الثاني خسرو خان و منطقة سياگوش بابنه الثالث سرخاب سلطان وأعيدت أنحاء بانه و هاورامان إلى أصحابهما السَّابقين. ونيطت رئاسة عشيرة الجاف بالأمير خان سلطان، وأسندت قلعة پلنگان إلى مريد خان رئيس الكلهر الّذي كان ناظر خزينته سابقاً.

هذا وفي تأريخ الدُّول والإمارات الكرديَّة (٢/٢٨٧): «إنَّ سليمان بك ببه مؤسِّس الحكومة البابانية، كان قد أغار سنة ١١٠٦هـ (١٦٩٤م) على إمارة أردلان، على عهد هذا الحاكم، واحتلَّ قسماً كبيراً منها. ثم استرده الأردلانيُّون بتعضيد الحكومة الإيرانية، بعد سنة من ذلك...» ولكنَّ هذا مخالف لما سندرجه فيما يلي نقلاً عن تأريخ أردلان الَّذي يعد تطاول سليمان بك ببه على أردلان في عهد محمد خان بن خسرو خان الآتي ذكره.

٢٠- كلب علي خان بن سليمان

لم يحدِّثنا مؤلّف القرون الأربعة الأخيرة في العراق ولا السيد محمد أمين زكي بك في كتابيه التأريخيين عن هذا الأمير، ولا عن أخلافه الَّذين سأورد ذكرهم، حتى عهد قلي خان شيئاً. لذلك لا مندوحة من نقل ما جاء في تأريخ أردلان، قال: «تولّى كلب علي خان هذا، الحكم في حدود سنة ١٠٦٨هـ[1](٥٠)(١٥٦٧م) فعني بازدهار إمارته. ثمَّ إنَّ الشَّاه أمره أن يغير على الحويزة فزحف عليها واحتلها، وأحضر حاكمها أمام الشَّاه مغلولا مصفَّداً، وبقي متمتِّعاً بالحكم اثنتين وعشرين سنة حيث توفِّي عام ١٠٨٩هـ (١٦٧٨م).

٢١- خان أحمد خان بن كلب علي خان (للمرَّة الأولى)

ولّى خان أحمد خان الثاني هذا، الحكم مكان أبيه زهاء سنة ونصف سنة ولم يعلم شاه إيران بذلك، وكان قد أطلق يده في إنفاق خزينة مملكته بسخاء بالغ، كما كان يقضي وقته في الصَّيد والقنص، فانتهز عمُّه خسرو خان بن سليمان خان حاكم مريوان هذه الفرصة، فوشى به إلى الشَّاه، فلم يكن منه إلاّ أن أرسل إليه ببراءة الحكم وخلع خان أحمد خان. ولم يكن من خسرو خان بن

(١) في كتاب لُبُّ تواريخ لمؤلّفه خسروخان محمد بن منوچهر أنَّه تولَّى الحكم سنة ١٠٦٠هـ (١٥٥٩م) وهو مرجع ومصدر مستوره خانم!

سليمان خان إلاّ أن باغت سنندج بغارة وقبض على خان أحمد خان وأرسله أسيراً إلى إصفهان وأودع السِّجن وتولّى الحكم مكانه سنة ١٠٩١هـ (١٦٨٠م).

٢٢- خسرو خان بن سليمان

كان رجلاً بخيلاً شحيحاً، إسترجع جميع ما جاد به سلفه خان أحمد خان، وعامل الشَّعب معاملة قاسية تظلَّموا منها للشَّاه في إيران. وأخيراً أدَّت به مظالمه إلى أن يدعوه الشَّاه إلى إصفهان ويأمر بقتله سنة ١٠٩٣هـ (١٦٨٢م) مولِّياً مكانه تيمور خان أجرلو الَّذي كان من الضُّباط الإيرانيين، فأدار هذه البلاد حتى سنة ١٠٩٩هـ (١٦٨٨م) إدارة حسنة، ثمَّ نقل وأعيدت إمارة أردلان إلى خان أحمد خان الثاني الَّذي كان في السِّجن بعد أن أنقذ منه.

٢٣- خان أحمد خان الثاني (للمرَّة الثانية)

لمّا عاد إلى الحكم، إنصرف إلى قضاء وقته في الصَّيد والقنص، وبدل شطراً كبيراً من وقته بالإعمار الزِّراعي ومشروعات الرَّي، فبنى جداراً ضخماً ممتداً من مسافة بعيدة من شمالي البلدة حتى ضواحيها، وأوجد فيه جدولا بلَّط أرضه بالنُّحاس والرُّصاص (؟) وأجرى فيه الماء وأرهق الشَّعب لإتمام هذا العمل فرفع رؤوساء القبائل والعشائر و وجهاء الإمارة شكواهم من قسوته إلى الشَّاه، فعزله من منصبه، ونصَّب مكانه محمد خان بن خسرو خان أميراً على ولاية أردلان عام ١١٠٥هـ (١٦٩٣م).

٢٤- محمد خان بن خسرو خان

تولّى محمد خان الحكم في أردلان بعد أن أجلي خان أحمد خان عنه سنة ١١٠٥هـ (١٦٩٣م) فكان رجلاً ذكياً عالماً نشيطاً يقوم بإدارة شعبه بانتظام، غير أنَّ عهده صادف ظهور سليمان بيه الَّذي شنَّ على أنحاء بلاده الغارات فاحتلَّ مريوان وهاورامان وسياكو وقتل كلاً من سهراب «زوراب» بك أمير سقز وإبراهيم بك أمير مريوان، فقام بنجدة من جيش إيران الَّذي كان يقوده عباس خان زياد أوغلو لإجلائه من منطقته، فجرت بين الفريقين محاربات طاحنة... ويقول (مستر لونگريك): «إنَّ أسطورة (اثني عشر فارساً في مريوان) الَّتي غلب فيها هؤلاء الفرسان على جيش إيراني بلغ الألوف، كانت في هذه المعمعة...» ولكنَّه لم يصرِّح باسم أمير أردلان... أما السيد محمد أمين زكي بك فقد سمّى أمير أردلان في كتابيه: سليمان خان، وقد ذكرنا ذلك سابقاً... وعلى كل فإنَّ جيش ايران تمكَّن من دحر سليمان بيه، ومن إجلائه من تلك المناطق، واضطرَّه أن يحتمي بالحكومة العثمانية، ويلتحق بالإستانة. وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وشى قاسم سلطان الهاورامانى بالأمير محمد خان إلى القائد الإيراني عباس خان قائلاً: كان محمد خان وبعض رؤساء الأكراد قد تفاهموا سرَّاً للإتفاق بينهم، والقضاء على الجيش الإيراني وقائده.....» فأثار حفيظة القائد، فأصدر الأمر بتدمير المناطق الكردية والقضاء على رجالاتهم، وعامل الأكراد معاملة قاسية يخجل التأريخ من سردها، أقلَّها أنَّه بنى من رؤوس القتلى الأكراد منائر ونصباً. غير أنَّ الشَّاه سلطان حسين الصفوي لمّا استخبر عنه هذه الفجيعة، استدعاه إلى إصفهان وانتقم منه بقتله، وأناط قيادة الجيش بالأمير حسين خان اللري الَّذي لم يكن بأحسن منه فقد زحف إلى

مناطق پشدر والآن واقتحم أراضي عشيرة البلباس، وفتك بالجميع الفتك الذَّريع قتلاً ونهباً وانتهت هذه الفجائع سنة ١١١٠هـ (١٦٩٨م). هذا ولكنَّ وشاية قاسم سلطان الهاوراماني عادت بالنَّكبة على نفسه حيث أودى بحياته أيضاً ضمن المقتولين. أما محمد خان فلم يظفر به القائد، بل ظلَّ حاكماً بعد ذلك زهاء ثلاثة أعوام أخرى. بيد أن ابن عمَّه جهانگير سلطان بن كلب علي خان لم يزل ينافسه ويشي به حتى عزل عن منصبه عام ١١١٣هـ (١٧٠١م) وأقيم مقامه محمد خان الگرجي الَّذي تولَّى الحكم على أردلان زهاء ثلاث سنين وكان يماشي السُّكان متظاهراً بالسُّنية – على الرغم من شيعيَّته – الأمر الذي لم يرق للحكومة الإيرانية، فأصدرت أمراً بعزله سنة ١١١٦هـ (١٧٠٤م) وبإسناد الإمارة إلى حسن علي خان بن محمد مؤمن خان – اعتماد الدَّولة فقام تلبية لرغبة حكومته يجبر السُّكان على قبول مذهب الشِّيعة ورفض مذهب السُّنة فأقلق ذلك بال السُّكان ونغَّص عيشهم، فهجر قسم منهم أردلان إلى شهرزور وصبر قسم آخر على معاناة الاضطهاد متوكِّلاً على اللّه زهاء عامين ثمَّ وجدوه بعدئذ ميِّتاً في فراش نومه. وهكذا نجوا من اعتسافه سنة ١١١٨هـ (١٧٠٦م).

٢٥- حسين علي خان

تولَّى مكان أخيه حسن علي خان، ثم تولّى مكانه أخوه حسين علي خان، وكانت الحكومة الصَّفوية قد أدركت أنَّ الشِّيعيَّة لا تنتشر بالقوة. فأخذ يوالي الأكراد ويعاملهم بلطف وعناية، فازدهرت تلك المناطق بالسُّكان وانتعاش الأهليِّين، وتقدُّم الزِّراعة والعمران وتمتُّع الشَّعب بالرَّخاء والرَّفاه والسَّعادة. ثمَّ أدّت بعض الحوادث الدَّاخليَّة إلى أن ينقلب عليه السُّكان، فيرفعوا تظلُّمهم إلى الشَّاه سنة ١١٢٠هـ (١٧٠٨م) فلبَّاهم ونقل حسين علي خان ونصَّب مكانه كيخسرو خان الَّذي لم يبق حاكماً إلاّ عامين. ثمّ إنَّ الحكومة الصَّفوية أناطت أمر أردلان بالأمير عباس قلي خان في سنة ١١٢٢هـ (١٧١٠م).

٢٦- عباس قولي خان بن محمد خان خسرو خان (للمرة الأولى)

تولّى عباس قولي خان الحكم سنة ١١٢هـ (١٧١٠م) وكان آنئذ بعض رجالات أسرة أردلان الآمرة يتولَّون الوظائف في سياكو ومريوان وسنه = سنندج فجمعهم حوله واعتنى بهم وبسكَّان بلاده عناية بالغة، وتقدم بإمارته زراعيّاً واقتصادياً. وفي هذه الآونة كان ميرويسي الأفغاني قد استقلَّ ببلاد الأفغان، فأصدر الشَّاه سلطان حسين الأمر إلى عباس قولي خان أن يعبىء قوَّة كبيرة من الأكراد ويسيِّر للقضاء علي مير ويسي الأفغاني وإجلائه عنها فحشد قوَّة كبيرة ذهب بها حتى طهران. بيد أنَّ الأكراد تمرَّدوا وثاروا عليه، ولم يخطوا بعد ذلك خطوة إلى الأمام ففكَّر أن يتدارك الأمر، فأوفد إلى الشَّاه من يخبره أنَّ الجيش الكردِّي قد شقَّ عصا طاعته، ولن يتقدَّموا للحرب، وليس لتمرُّدهم سبب سوى علي قولي بك بن زوراب بك بن كلب علي خان. فلمّا بلغ هذا النَّبأ الشَّاه استشاط غضباً وعزله عن منصبه، وأسند الولاية إلى علي قولي بك المذكور ومنحه لقب الخان، وخلع عليه الخلع، واستدعى عباس قولي خان إلى إصفهان فأودعه السِّجن، وكان ذلك سنة ١١٢٩هـ (١٧١٦م).

٢٧- علي قولي خان بن زوراب بك بن كلب علي خان

تولّى علي قولي خان الحكم في أردلان سنة ١١٢٩هـ (١٧١٦م) وكان مثالاً لحسن الأخلاق، فتقدَّم بالولاية زراعياً واقتصادياً وعمرانياً، ونشر العدل والأمن. غير أنَّ قحطاً عظيماً عمَّ المملكة الإيرانية كسح بلاده، وأودى بحياة الكثيرين. وبعد أن قضى في الحكم بضع سنين، اتفق أن انشقَت حكومة لرستان الصُّغرى على الشَّاه الإيراني، فأصدر الشَّاه الأمر لعلي قولي خان بغزو تلك المنطقة وإخضاع حكومتها للإمبراطوريَّة، فسار إليها علي قولي خان على رأس جيش عرمرم من الكرد والإيرانيين، ووقعت بين الفريقين حروب عنيفة أسفرت عن خسائر كبيرة في الأموال والأنفس وعن انقياد لرستان للدَّولة، ورجع ظافراً منصوراً. بيد أنَّ الحظَّ خانه فعزل عن منصبه سنة ١١٣٢هـ (١٧٢٠م) وأعيدت الولاية إلى عباس قولي خان.

هذا ولقد أورد مستر لونگريك في كتابه (ص١٤٠) إسم علي قولي خان ضمن حوادث سنة ١١٢٢هـ - ٢٣هـ.. وقال: «... وكان والي أردلان المدعو علي قولي خان قد كاتب بغداد من قبل، فأدَّاه خلع سيِّده إلى أن يطالب الأتراك بإسناده... الخ». ولكن ذكر في الهامش نقلاً عن (چلبي زاده): «إنَّ هذا الوالي هو عباس قولي خان، لا صاحب الترجمة. وهذا هو الموافق لما ذكرناه. أمّا ما جاء في تأريخ الدُّول والإمارات الكرديَّة (٢/٢٨٨) من أنَّ علي قولي خان كان حاكم الشَّرعي الوراثي لمنطقة أردلان، عندما غزا حسين پاشا والي بغداد إقليم همدان في عام ١١٤٣هـ، فيظهر أنَّ فيه خطأ مطبعياً، إذ لم يكن اسم والي بغداد حسيناً، بل حسناً، ولم يكن الغزو في عام ١١٤٣هـ بل في سنتي ١١٣٣هـ - ٣٤هـ (١٧٢٣ - ١٧٢٤م).

٢٨- عباس قولي خان (للمرَّة الثانية)

لما عاد (عباس قولي خان) إلى الحكم على (أردلان) سنة ١١٣٢هـ (١٧٢٠م) أناط منطقة سياكو بابن عمِّه قولي خان المعزول، وفي هذا العهد تجدَّدت الحرب بين الدَّولة الايرانية والدَّولتين الأفغانية والعثمانية فقد زحف الجيش الأفغاني على إصفهان واحتلَّها وقتل الشَّاه سلطان حسين وأولاده، فثارت ثائرة سكان إيران وقاموا بمحاربة الجيش الأفغاني، واشترك في هذه الحرب عباس قولي خان إذ أمدَّهم بألف نفر من أبطال الأكراد، لم يعد منهم إلا ثلاث مئة هربوا من الحرب، فأهانهم عباس قولي خان على هزيمتهم. وكذلك انتهزت الحكومة العثمانيَّة فرصة الإضطراب والفوضى في إيران فسيَّرت إليها جيوشاً زحفوا عليها من جهتين: توغَّل فيها قسم من أرضروم فكسحها حتى آذربيجان ومنطقة (خمسة)، واقتحمها قسم من بغداد بقيادة الوالي حسن پاشا، فاحتل كردستان وكرمنشاه وبرودجرد ونهاوند وهمدان، ونصَّب بها حكاماً وأمراء، وكان قد أناط احتلال أردلان بالأمير خانه پاشا بن سليمان بك ببه وعيَّنه حاكماً على المناطق الكرديَّه. أما عباس قولي خان وابن عمِّه علي قولي خان فقد أسرا، ولم يعرف بعدئذ ما آل إليه مصيرهما. هذا وأورد السيد محمد أمين زكي بك في كتابه تأريخ السُّليمانيَّة وأنحائها (ص: ٦١)نقلاً عن كتاب گلشن خلفاء: «ذكر أميرين آخرين من أمراء أردلان قائلاً: «وعندما زحف خانه پاشا على سنه = سنندج، لم يكن من رضا قولي خان والي أردلان وأخيه سبحان ويردي خان إلاّ أن تقدَّما لعرض

طاعتهما على الحكومة العثمانيَّة...» ولكنَّ هذين الإسمين لم يردا في كتاب القرون الأربعة الأخيرة في العراق بتاتاً بل ذكر في (ص١٤٠ و١٦٩) منه: إنَّ حكم خانه پاشا استمرَّ في أردلان أربع سنوات، ثمَّ تولاّه من بعده ابنه...».

٢٩- سبحان ويردي خان (للمرَّة الأولى)

كانت الحكومة العثمانيَّه قد عيَّنت سبحان ويردي خان حاكماً على (خمسة) ومنحه لقب پاشا. وفيما تمكَّن نادر شاه - طهماسب قولي من نصب الشَّاه طهماسب بن الشَّاه سلطان حسين الصَّفوي سلطاناً على ايران سنة ١١٤٠هـ (١٧٢٨م) ومن إعادة المياه إلى مجاريها، أناط منطقة أردلان بالأمير سبحان ويردي خان، ومنحه لقب الخان. غير أنَّ الفتنة الَّتي أثارها الأفغانيُّون وانتهاز الحكومة العثمانيَّة الفرصة للتَّوغل في المملكة الإيرانية، واضطرار نادر شاه بمهادنتها، وترك المناطق المحتلَّة لها، أدَّت إلى إجلائه عنها، وتعيين خالد پاشا أخي خانه پاشا بابان حاكماً عليها. وكان خالد پاشا هذا سيء الإدارة، هذا ولم يشر مستر لونگريك ولا السيد محمد أمين زكي بك إلى تولِّي خالد پاشا بابان الحكم في أردلان.

٣٠- سبحان ويردي خان (للمرة الثانية)

بعد أن تمكَّن نادر شاه من تطهير البلاد من الأفغان ومن دحر الجيش العثماني الَّذي قاده أحمد پاشا، احتل به كردستان إيران، وبقي تحت إدارته، إلى أن هودن عليها، عام ١١٤٥هـ (١٧٣٢م) أعاد سبحان ويردي خان إلى منصبه ولاية أردلان، غير أنَّه لم يدم في الحكم إلاّ سنة ونصف سنة عزله بعدها، وولِّي مكانه ابن أخيه مصطفى خان.

٣١- مصطفى خان

تولَّى مصطفى خان الحكم مدَّة من الزَّمن لكنَّه لمَّا لم يكن كفوءاً له ما لبث أن خلعه نادر شاه وأعاد عمَّه سبحان ويردي خان إلى الحكم. ويقول السيد محمد أمين زكي بك في كتابه خلاصة تأريخ الكرد وكردستان «كان نادر شاه قاسياً تجاه الأكراد، ومن جملة مظالمه وأعماله الغدَّارة أنَّه عزل سبحان ويردي خان حاكم أردلان وأحلَّ أخاه محلَّه في الحكم مما أفضى إلى ثورة أكراد تلك المناطق ضدَّ الإيرانيين».

٣٢- سبحان ويردي خان (للمرَّة الثَّالثة) وابنه أحمد سلطان

تولَّى الحكم في أردلان مرَّة أخرى سنة ١١٤٦هـ (١٧٣٣م) وتمتَّع بالحكم حتى سنة ١١٥٠هـ - ١٧٣٧م بيد أنَّ نادر شاه لمَّا كان معجباً ببسالة إبنه أحمد سلطان الَّذي اصطحبه في أسفاره فقد جعله نائب السَّلطنة وولاّه على كردستان إيران وبهذه المناسبة زال الحكم من يد سبحان ويردي خان وإن كان نجله مؤدباً ينظر إليه في جميع أموره نظرة السِّيادة، وظلَّ منعزلاً حتى سنة ١١٥٣هـ - ١٧٤٠م حيث استدعى نادر شاه أحمد سلطان إلى العاصمة وعاد سبحان ويردي خان إلى الاستقلال بالحكم.

٣٣- سبحان ويردي خان للمرَّة الرَّابعة

عاد إلى الحكم في أردلان مرَّة أخرى سنة ١١٥٣هـ (١٧٤٠م) ولكنَّه لم يتَّفق مع سكَّان

مملكته فحمل ذلك بعض الوجهاء أن يرفعوا تظلُّمهم إلى نادر شاه فاستشاط غضباً وأصدر الأمر بخلعه وبمنح حكومة أردلان لابنه أحمد سلطان بعد أن خلع عليه الخلع الكثيرة ومنحه لقب الخان.

هذا وأورد السيد محمد أمين زكي بك في كتابيه أنَّ سبحان ويردي خان لم يزل حاكماً مهيباً حتى وفاته سنة ١١٦٨هـ (١٧٥٤م) ولكنَّه أورد من جهة أخرى روايات مضطربة إذ يقول (ص٧١) من تأريخ السُّليمانيَّة وأنحائها ضمن حوادث سنة ١١٧١هـ (١٧٥٧م) «إنَّ سليم پاشا بابان لما أغار على سليمان پاشا واشتبكا في قزلجة ورجع مندحراً تعقَّبه سليمان پاشا حتى احتلَّ شطراً من أردلان. بيد أنَّ سبحان ويردي خان تصدَّى له ونزعها منه» وفي مشاهير الكرد وكردستان ٣٢٣/٢: «إنَّ سبحان ويردي خان اشتبك مع سليمان پاشا بابان سنة ١١٧٧هـ (١٧٦٣م) فضاعت مملكته مدَّة من الزَّمن، لكنَّه لم يمض وقت طويل حتى استردها. ثمَّ إنَّ سليمان پاشا تمكَّن من احتلالها حتى (سنه = سنندج) في السَّنة التَّالية بمعونة من كريم خان الزَّند ولكنَّ سبحان ويردي خان لم يدعه يتمتَّع به حتى استردَّها منه» ويقول في تأريخ الدُّول والإمارات الكرديَّة (٢٨٩/٢) ضمن حوادث سنة ١٢٠٨هـ - ١٧٩٣م «إنَّ سليمان پاشا بابان استولى على شطر كبير من بلاد أردلان، غير أنَّ سبحان ويردي خان صدَّه عن ذلك. أمّا مؤلِّف القرون الأربعة الأخيرة في العراق فلم يورد إسم سبحان ويردي خان وإن كان قد أشار إلى قضيَّة سليمان پاشا بابان في (ص١٩١) ضمن حوادث ١١٧٧هـ - ١٧٦٧م.

٣٤- أحمد سلطان خان

تولّى الحكم بعد أن خلع نادر شاه إيّاه. ولكن حدث بينه وبين نادر شاه سنه ١١٥٥هـ - ١٧٤٢م قضايا اضطرَّته أن يعرض طاعته على الدَّولة العثمانيَّة. هذا وقد أدلى (تأريخ أردلان لمؤلفته مستوره خانم) في هذا الصَّدد بإسهاب زائد إذ قال: «إنَّه قتل ظاهر بك رئيس عشيرة الجاف في طريقه. ولمّا وصل إلى الموصل قتل الولي عليها ونصَّب مكانه والياً ثانياً وقام بأمور أخرى كثيرة(*)» ونقل السيد محمد أمين زكي بك عن ميجرسون في (تأريخ السُّليمانيَّة) قوله: «... وفي أحد الأعوام غزا والي أردلان جوانرو وحارب فيها عشيرة الجاف وقتل رئيسهم...» من دون أن يلوِّح إلى إسمه وتأريخ الواقعة.

٣٥- خسرو خان الكبير

هذا وقد تولّى الحكم في أردلان بعد هؤلاء خسرو خان الكبير سنة ١١٦٨هـ - ١٧٥٤م ولم يخل عهده من الإضطرابات، فقد سار محمد پاشا بابان إلى مملكته سنة ١١٩١هـ - ١٧٧٧م مع الجيش الَّذي قاده حسن پاشا إلى إيران. فاعترض سبيله جيش أردلاني فانتصر عليه واحتلَّ منطقة بانه، ولكنَّ خسرو خان جمع جيشاً قوياً حمل به عليه ولكنَّه لم ينجح أيضاً ولاذ بالهرب إلى الجبال إلاّ أنَّ كريم خان الزَّندي أنجده في السَّنة التَّالية بجيش فخم قاده كلب علي خان. فأجلى محمد پاشا بابان وطارده حتى كركوك. وزاد مستر لونگريك (ص١٩٥) إنه تضرَّج بالدِّماء

(*) لم نجد في المصادر التَّاريخية المؤلَّفة باللُّغة الفارسيَّة والتُّركية والعربية الَّتي تحوي أخبار عهد نادر شاه بصورة مفصَّلة وأخبار عهد السُّلطان محمود العثماني، حادثا مهما علماً بأنَّ محمد شريف بن الملا مصطفى قاضي أردلان هو الَّذي

في الموقعة الثَّانية، أمّا وفاته فكانت سنة ١٢١٤هـ - ١٧٩٩م.

٣٦- أمان الله خان الكبير(*)

حلَّ أمان الله خان محلَّ أبيه، فكانت باعث النَّهضة الأدبيَّة والعمرانيَّة من مدينة سنه = سنندج وازدهرت مملكته أيّام حكمه وقد أشاد بوصفه كلٌّ من مالكولم وريج وجريكوف وبالغوا في مديح سنه = سنندج وعمرانها، ولاسيَّما عمارة تلار = البلاط الَّتي كانت مقر حكومته. وقد توفِّي عام ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م). وليعلم بأنَّه باني جامع دار الإحسان الَّذي أرّخ لتشييده العلاَّمة الشَّيخ معروف النُّودهي، إضافة إلى العمارات الخيرية.

٣٧- خسرو خان ناكام

تقلَّد الحكم مكان أبيه في الثَّانية والعشرين من عمره. وكان شاعراً لامعاً وحاكماً عادلاً. حكم بلاده زهاء عشر سنوات. كان فتح علي شاه القاجاري قد زوَّجه ابنته على عهد والده، فكانت ماه شرف خانم الأديبة الفاضلة الشَّهيرة عقيلة هذا الوالي. وقد خلَّف آثاراً عمرانية زاهية منها (١) دارالحكومة الَّتي شيَّدها في سنه = سنندج (٢) جامع دار الإحسان الَّذي يعد معبداً دينياً ومعهداً ثقافياً فريداً في نوعه (٣) حديقة عامة جميلة نسَّقها تنسيقاً حسناً، ثمَّ أدركته الوفاة.

٣٨- رضا قولي خان

خلَّف خسرو خان في الحكم ابنه رضا قولي خان الَّذي يسمِّيه ميجرسون (غلام شاه خان) على عهد حياته عام ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) فاختلَّ في عهده نظام أردلان من جرّاء نشوب الفتن بين أمراء أسرتهم، فأدَّى ذلك إلى أن يستدعيه الشَّاه محمد القاجاري ويودعه السِّجن في طهران، وكان قد بلغ من العمر آنئذ ستَّة عشر عاماً، فظلَّ سجيناً ستَّة عشر عاماً. ولمّا توفِّي الشَّاه محمد القاجاري سنة ١٢٦٩هـ (١٨٥٠م) أطلق سراحه، لكنَّه توفِّي في العام نفسه.

٣٩- أمان الله خان

بعد أن أودع الشَّاه محمد القاجاري رضا قولي خان في السجن سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٩م) ولِّي أمان اللّه خان على أردلان فلم يزل حاكماً عليها حتى عام ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) حيث تمكَّن ناصر الدِّين شاه القاجاري من القضاء على الأسرة الأردلانية، وتعيين عمِّه فرهاد ميرزا حاكماً على منطقة أردلان. وهكذا دفنت هذه الإمارة القوميّة في مقبرة التأريخ...

ذكر حادثة فرار أحمد خان الثاني ولجوئه إلى الحكومة العثمانية في الفصل العاشر من كتابه (زبدة التواريخ) المختص بحكومة أردلان، فقد قال ما تعريبه:«هاب خان أحمد خان الثاني نادر خان، فلجأ إلى الحكومة العثمانية ومعه خمس مئة نفر فوصل إسطامبول فاستقبله السُّلطان محمود ورحب به... الخ. فلم يشر إلى أنه قتل في طريقه ظاهر بك الجاف، وقهر أمير بابان، وقتل والي الموصل، ونصب مكانه آخر وقهر والي حلب...» فالحق أن رجلاً مضطراً للجوء لايقوم بحبك هذه الأعمال الخيالية التي كتبها خسرو بن محمد بن متوچر أردلان كاتب خسرو خان ناكام زوج مستوره خانم التي نقل منه هذه الأخبار، كما نقله (مترجم) إسماعيل....

(*) لم يأت بعد خسرو خان ناكام أمير أردلاني له شأنه، لذلك لم ندرج أساميهم حتى عهد أمان الله خان) ميراجع كتب مستوره وخسرو محمد وإسماعيل.

الفصل الثاني

في تراجم حكَّام حكاري المعروفين بأسرة شنبو

١- عزُّالدِّين شير

لا تحتجب عن الضَّمائر المنيرة من نُقَّاد الكلام، ولا عن خواطر ذوي الآراء المشعَّة صورة القصَّة الآتية الَّتي هي: «إنَّ نسب أمراء حكاري الأجلاَّء يرتقي إلى الخلفاء العَّباسيِّين[١]. بيد أنَّه لمّا لم تضبط سلسلة نسبهم، ولم يعلم بَمَن من الخلفاء تنتهي، عطفنا عنان اليراع الجواد عن الخوض في البحث في ارتباط هذه الأسرة الكريمة بأولئك الخلفاء العظام. والحقُّ يقال إنَّ هذه الأسرة أنفسهم عرفوا بين حكَّام الأكراد بعلوِّ الحسب وسموِّ النَّسب، واشتهروا بالأطوار الجميلة والسِّير الحسنة. وقد أكرمهم السَّلاطين العظام والخواقين الكرام، وأقرُّوهم على ملكهم، ولم يطمع أحد من الحكَّام في نزع بلادهم من تصرُّفهم. وإذا كان بعض السَّلاطين قد أقدم على انتزاعها منهم،

---

(١) الخلفاء العبَّاسيُّون: هم الَّذين تمكَّنوا بفضل أحزاب سريَّة والجهود الَّتي بذلها أبو مسلم الخراساني من اعتلاء كرسي الخلافة الإسلامية. وكان مركزها الكوفة، ثمَّ انتقلت إلى بغداد. وأولهم عبدالله بن محمد المعروف بأبي العباس السَّفاح. بويع بالخلافة سنة ١٣٢هـ (٧٥٠م).وآخرهم المستعصم الَّذي تولَّى السَّلطنة من سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٢م) حتى ١٤صفر ٦٥٦هـ (١٢٥٨م).وكانت مدة خلافتهم ٥٤٤سنة أما انتحال الانتساب إلى البيوت الآسرة من الخلفاء والسَّلاطين والحكام ، فيأتي غالباً من أسر ذوي نفوس ضعيفة تستصغر نفسها وتشعر بالنقص، فالأسر الَّتي تربط نفسها بآل البيت، أو العمريَّة، أو الأموية، أو العباسية، أو الخالدية، كلها أكراد (أقحاح) شعروا بالنَّقص من حقارة منزلتهم بين النَّاس، فانتحلوا لهم هذه الأنساب الكاذبة ... وللمثال: لم يكن العباسيُّون بحاجة للالتجاء إلى كردستان، وهم يتمتَّعون بالخلافة، أما بعد أن قضى هولاكو على الخلافة العباسية، فقد أشار العلامة نصيرالدِّين الطَّوسي الشِّيعي المتطرِّف على هولاكو ألا يُبقى لهم نسلاً، فقضى عليهم هولاكو، سوى طفل واحد، أخذه معه، وجهل مصيره والانتساب إليه كذب محض اختلقه أتباع الأمراء البهدينانية مثل مؤلِّف رسالة (ژيو كه).

فإنَّه بعد أن تقلَّد زمام تصُّرفها مَّدة ردِّها إليهم. ولهذا أورد مولانا شرف الِّدين علي اليزدي مؤلِّف كتاب (ظفرنامه)التأريخي: «إن الأمير تيمور گورگان= تيمور الأعرج بعد أن فتح قلعة بايزيد[٢] سنة سبع[٣] وثمانين وسبع مئة (١٣٨٥م) وسار إلى وان[٤] ووسطان[٥] لم يكن من عزّالدِّين شير حاكم حكاري الَّذي كان والياً على تلك المناطق إلاّ أن تحصَّن بقلعة وان، وتأهَّب بما ملكه من عزم وثبات لمقاومة الأمير تيمور وصدِّ زحفه. بيد أنه لّما سار إليها تيمورخان وحاصر القلعة وضيَّق خناقها، ورأى عزُّالِّدين شير أنَّ الحال ضاقت بالمحصورين و ألاّ طاقة له بصدِّ حملة تيمورخان وأنهَّ لا يستطيع الثَّبات أمام مخالبه الفولاذية، كما قيل:

«هر كه باپولاد بازو پنجه كرد ساعد سيمين خودرا رنجه كرد»

{كل من شابك ذا السَّاعد الفولاذي، لا شكَّ أنهَّ آلم ساعده الفضِّي}

– ما لبث أكثر من يومين حتى اتَّجه إليه مظهراً ذلَّه وانكساره، وعرض عليه طاعته. غير أنَّ واحداً من ذوي قرابته يسمَّى ناصرالدِّين أبى أن يذعن له، و راح يسدُّ باب قلعة وان في وجهه ويحصنها ويخوض غمار الحرب، واستمرَّ في النِّضال زهاء سبعة وعشرين يوماً. إلاّ أنَّ الأبطال المحاربين والبسلاء المجازفين، تمكَّنوا من

(٢) قلعة بايزيد: لعلَّ في ضبطها خطئاً: صوابه قلعة باي حاضرة حكومة شنبو. وإذا فرضنا صحَّتها فهي قلعة بايزيد الواقعة على حدود تركية الشَّرقية المتاخمة لحدود الدَّولة الإيرانية، أي مركز ولاية بايزيد الحالية. أما بايزيد فهو بايزيد الأول بن السُّلطان مراد الأول، تولّى الملك سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩م)، وعني بتوسيع بلاده، وأخيراً اشتبك في الحرب مع تيمور خان الأعرج، فاندحر جيشه، ودخل في أسره فسجنه حتى توفِّي سنة ٨٠٥ هـ(١٤٠٣م) [المترجم].

(٣) هكذا في النُّسختين الخطِّيتين، وفي النُّسخة المطبوعة في روسيا سنة تسع وثمانين وسبع مئة للهجرة (١٣٨٧م) [محمد علي عوني]. لا يخفى خطأ النُّسخ كلِّها: فإنَّ بايزيد لم يتولّ الحكم آنئذ حتى تشتهر إحدى القلاع باسمه بل بعد ذلك بسنين كما بيَّناه في تعليقنا السَّابق.

(٤) وان: اسم يطلق على ولاية واسعة تقع في شرقي تركية الحالية تحدُّها شرقاً التُّخوم الإيرانية وغرباً نهر الفرات. أما مدينة وان نفسها فهي مدينة تأريخية شيِّدت في سفح سلسلة من التُّلول وسوِّرت تسويراً محكماً بالقرب من الشَّاطيء الشَّرقي من البحيرة المسمَّاة باسمه (بحيرة وان).

(٥) وسطان: مركز أحد الأقضية التَّابعة لولاية وان .

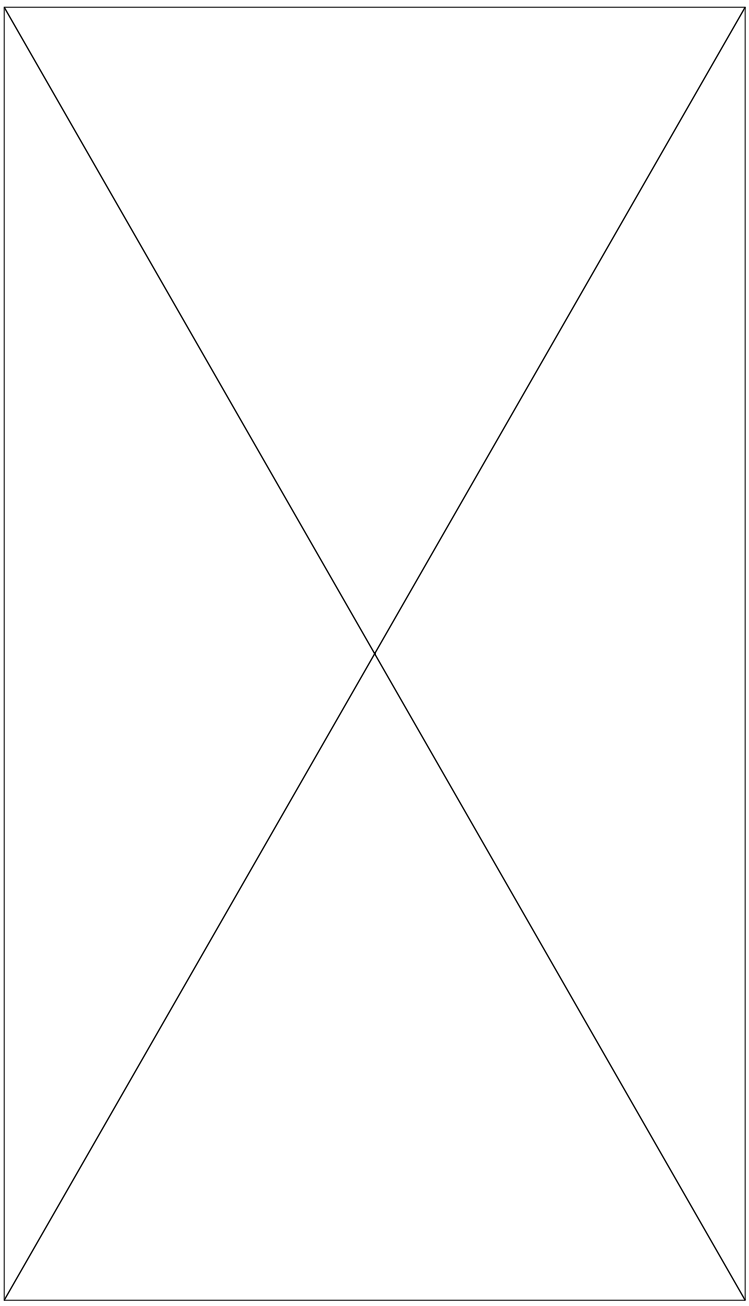

لوحة التصوير الاولى الخاص بحفلة الاصطياد والقنص في حكاري المستعارة من كتاب عبدالرقيب

فتح القلعة المذكورة عنوة، فأعملوا السُّيوف الصّارمة والخناجر الباترة في المتحصِّنين، حتى أتوا على معظمهم. وقد أنشد أحد الفضلاء في تأريخ فتح قلعة وان قائلاً:

«شاهى كه بتيغ ملك ايران بگرفت ماه علمش سرحد كيوان بگرفت»
«تأريخ گرفتن حصار وان را گر پرسندت بگو كه «كيوان بگرفت٧٨٩»

{إنَّ ملكاً فتح بسيفه إيران، قد علا بدر لوائه فوق زحل، لو سئلت عن تأريخ إخضاعه قلعة وان فأجب : «هم أولاء فتحوا حصن وان-٧٨٩}.

وما استسلمت القلعة حتى أصدر الأمير تيمور أمره إلى الأمير يادگار أندخوي بتدميرها. ولكنَّ جدار القلعة لـمّا كان يحاكي أبنية شدَّاد بن عاد المشهورة؛ إذ كان مبنياً من صخور عظيمة، فكلَّما حاول تخريبها لم يستطع القيام بشيء اكتفوا بعد الجهد الجهيد بفتح أقلِّ ثغرة فيها ومبارحتها إلى أنحاء خوي[٦] وسلماس[٧] حيث ضرب قمر كرياسه[٨] العالي، (قبة شاذروانة[٩] الشَّاهقة) في سهول البلدة الأخيرة. وهنا رقَّ قلبه على الملك عزّالدِّين، فأعاد إليه ولايته الوراثية، وصدر باسمه منشور الحكم، وأذن له بالإنصراف والعودة إلى مملكته.

٢- الملك محمد بن الملك عزالدِّين شير

في سنة أربع وعشرين وثمان مئة(١٤١٩م) تمكَّن الملك محمد بن الملك عزّالدِّين مع حاكم ولاية بدليس وأخلاط المدعو الأمير شمس الدِّين من الحظوة بزيارة ميرزا

(٦-٧) خوي وسلماس: بليدتان في آذربيجان بالمملكة الإيرانية.

(٨) في النُّسختين الخطِّيتين (قمة كرباس). [محمد علي عوني] (الصَّواب ما جاء في النُّسختين الخطِّيتين، إذ لا مناسبة لذكر كلمة (قمر) مع لفظة كرباس فمثل هذا المصطلح ليس له وجود في المعجمات الفارسيَّة والعربيَّة والتُّركية أما قمَّة كرباس فإنَّها مركَّبة من كلمتي: القمَّة - أعلى الجبل وكرباس = نسيج القطن والكتان ويعني بها الخيمة الشاهقة.

(٩) وفي نسخة: شادروان [محمد علي عوني] أقول: اللفظة المضبوطة بالدَّال المهملة هي الموافقة لما في المعجمات الفارسيَّة، فإنَّها تطلق على خيمة كبيرة تحوي غرفاً وأجنحة مما يقتنيه الملوك كما جاء لمعان أخر هي شرفة القلعة، مخازن المياه الضَّخمة، الطَّنافس الثَّمينة ونحوها... الخ.

شاه رخ بن الأمير تيمور گوركان، فاعترف بحكومتيهما وشملهما بأعطافه، وأذن لهما- قبل اندلاع نار الحرب بينه وبين أولاد الأمير قره يوسف التُّركماني[١٠] في تخوم ألشگرد- بالعودة إلى بلادهما. ولدى هذه الأسرة كثير من العهود والبراءات الممنوحة إهايا من السلاطين الجنگيزية شاهدتها بنفسي، وكلُّها محرَّر بالخطِّ (الأويغوري)[١١]. والغرض من ذكر ما أسلفناه هو أنَّ السَّلاطين العظام لم يفرِّطوا في القيام بما يجب من إعزاز هذه الطَّبقة وإكرامهم، بل أنعموا عليهم بولاياتهم على سبيل الملكيَّة.

هذا ونشرع الآن في سرد تراجم جميع من تولَّوا الحكم من بينهم {إن شاء الله}.

٣- أسدالدِّين كلابي بن عمادالدِّين

لقد بلغ جامع هذه الأوراق كراراً ومراراً من الثِّقات، أنَّ حادثات الزَّمن أدّت برجل من حفدة حكام حكاري يسمَّى أسدالدِّين بن گلابي إلى أن يلقي عصا التِّرحال في مصر، فأخذ يختار ملازمة السَّلاطين الشَّراكسة[١٢] ويظهر البسالة في الحروب الصَّليبيَّة، حتى إذا فقد في إحدى المعارك إحدى يديه، أمر سلطان عهده أن تصنع له

(١٠) قره يوسف: هو أمير قبيلة قره قويونلو التُّركمانية من قبائل التَّتر النَّازحة إلى مملكة إيران، كان أميراً على بعض مقاطعات آذربيجان. وفي عهد تيمورلنك التجأ مع السُّلطان أحمد الجلائري بالسُّلطان بايزيد العثماني وبعد مقتله التجأ إلى ملك مصر الظَّاهر برقوق، فلمّا مات تيمور رجع واستقبل قره يوسف بإقليم تبريز و تحالف مع صاحبه السُّلطان أحمد الجلائري، غير أنَّ صداقتهما لم تدم بل انقلبت حرباً أخفق السُّلطان أحمد على أثرها ووقع أسيراً بيد قره يوسف فاضطر أن يتنازل عن مملكته لابنه الشَّاه محمد تلبية لما كلفَّه به قره يوسف من أن يكتب عهداً بمنح إيالة آذربيجان لابنه پيربوداق وآخر بإناطة إيالة بغداد بابنه الشَّاه محمد وبعد أن كتب العهدين قتله غدراً. هذا ولمّا كان الشّاه محمد ينقش على راية الدَّولة صورة خروف أسود سميت دولته (قره قويونلو) الخروف الأسود ثم توسع حكمه إلى أنحاء ديار بكر وأطرافها.

(١١) الخط الأويغوري: نوع من الخطوط المستعملة لدى المتحضِّرين من التَّتر وهو مأخوذ من ألفباء النَّساطرة وقد شاع بينهم منذ القرن الخامس الميلادي.

(١٢) سلاطين الشَّراكسة: أُسرة من المماليك حكموا مصر والشَّام من سنة ٧٨٤ هـ ١٣٨٢م إلى سنة ٩٢٢هـ - ١٥١٦ م أي زهاء ١٣٨ عاماً، أولهم الملك الظَّاهر سيف الدِّين برقوق من مماليك الأمير يلبغا العمري الَّذي كان نفسه قبلاً من مماليك الملك الصَّالح من الملوك المماليك الَّذين قضوا على الأسرة الأيوبية وتولَّوا الملك بعدهم.

يد من الذَّهب، وبالغ في احترامه وإعزازه، ومنحه لقب زرين چنگ = ذي الذِّراع الذَّهبي.

هذا وفيما تقلَّد حسن بيك آق قويونلو[١٣] زمام السَّلطنة في ايران وأشاح بوجهه عن حكَّام كردستان، وسيَّر صوفي خليل وعرب شاه بيك من عمَّدة أمراء التُّركمان ألآق قويونليين إلى الإستيلاء على ولاية حكاري ولبث صوفي خليل ردحاً من الزَّمن يترقَّب الفرص وأخيراً اهتبلها، وأغار على حاكمها في يوم أربعاء، وكان حاكمها آنئذ عزَّالدِّين شير الذي كان كلَّما أنذره حماة الثُّغور بمجيء العدوِّ، وحفَّزوه للجدال والمنافحة، لم يزد على أن يقول: «اليوم يوم أربعاء، لا يوم النِّزال وإراقة الدِّماء...»[١٤] حتى حمل عليه صوفي خليل وعرب شاه بيك، فاحتلاَّ مملكته وأوديا بحياته وخرجت ولاية حكاري[١٥] من تصرُّف هذه الأسرة، ونيطت شؤونها كافَّة بعشيرة دنبلي[١٦]، والَّتي لم تزل تقوم بإدارة شؤونها ردحاً من الزَّمن بالنِّيابة عن حكومة آق قويونلو. كان آنئذ جمع كبير من رعايا ناحية دزي من النَّصارى المعروفين باسم آسوري-الآشوريِّين[١٧] قد اعتادوا التَّردُّد إلى مصر والشام لتعاطي التِّجارة،

---

(١٣) هو (حسن الطويل - أوزون حسن بن علي بيك بن قره أيلول عثمان) من أمراء قبيلة آق قويونلو التَّترية. كان من قوَّاد تيمور ثمَّ أسَّس حكومة آق قويونلو على أنقاض دولة قره قويونلو - الخروف الأسود ونقل العاصمة من ديار بكر إلى تبريز. توفِّي سنة ٨٨٣ هـ (١٤٩٧م) وسمِّيت بذلك لأنَّ ملوكها كانوا يرسمون على أعلامهم خروفاً أبيض، وهكذا سمَّاها اليونان (آسيرو پروپايتد).

(١٤) لايزال يوم الأربعاء معروفاً لدى الأكراد بيوم الشؤم ولاسيِّما إذا كان آخر أربعاء من صفر من الشُّهور القمرية، ويسمَّى (چوار شمه سوره = الأربعاء الأحمر وربما كانت كلمة «سوور» الفرس والاحتفال أيضاً. وقد حرفت لدى أهل بغداد بـ(چمبرسوري) وهي تصادف أيام الكسلة في الربيع والشَّائع بينهم أنَّ هذا اليوم لا يمرُّ بدون حدوث واقعة قتل فيها. ويقول بعضهم إنَّ يوم وفاة (زورو آستر - زرادشت) الَّذي كان نبياً ظهر في منطقتهم.

(١٥) خرجت هذه المملكة من يدهم سنة ٨٧٥ هـ(١٤٧٠م).

(١٦) دنبل: كقنفذ، عشيرة كردية ذات بأس، شكَّلت حكومة في آذربيجان.

(١٧) يعني بهم النَّساطرة المعروفين إلى يومنا هذا بأسم الطَّائفة الآشورية. وهم كما يدَّعي كثير من المؤرخين أكراد أُعتنقوا الدِّيانة المسيحية على يد نسطوريوس، وليسوا من بقايا الشَّعب الآشوري التأريخي.

فوقفوا في القطر الأول على أحوال أسد الدِّين زرين چنگ، وراحوا يتحادثون بينهم عن كفايته وجدارته لتولِّي حكومة حكاري وإناطتها به، ورأوا من المصلحة أن يتفاهموا معه في ذلك. وأخيراً اتَّصلوا به وعرضوا عليه مبتغاهم، فلبَّاهم إلى ذلك، ورجع بدلالة منهم إلى ولايته الوراثّية، فقضى فيها وقتاً طويلاً، متكتِّما بين الطائفة الآشورية متنكِّراً، وكان من عادة النَّصارى في النَّاحية المذكورة، أنَّهم يسبتون بحمل المؤن والذَّخائر إلى قلعة دزى، وفي أحد أيّام السَّبت «شنبه-شمه-شمو) أخذوا يستعدُّون لتنفيذ مآربهم، فألبسوا أسد الدِّين وفئة من رجال العشائر البسلاء، من زيِّهم الخاص، وأخفوا أسلحتهم ومعداَّتهم الحربية بين حزم الوقود الَّتي شدُّوها على ظهورهم، واتَّجهوا إلى القلعة. فلمَّا دخلوا ونبذوا الحمول وراءهم ظهرياً، تسلَّح جمع من أبطالهم بأسلحتهم الصَّارمة، وأغاروا على حامية القلعة المؤلَّفة من رجال العشيرة الدُّنبليَّة، فقضوا على فريق منهم بصوارمهم المسمَّمة وأثخنوا فيهم الجراح، وفتكوا بهم الفتك الذَّريع واستقلُّوا بالقلعة.

وخلاصة القصَّة، أنَّ الأبطال المجازفين طهَّروا القلعة من دنس المخالفين المرتبكين بسيوفهم اللاَّمعة، فصقلوها كالمرآة، أو كصدور المتنسِّكين العاكفين في زوايا الخلوات، وقلوب العابدين الذَّين تصدق عليهم الآية الكريمة: (ويستغفرون بالأسحار)، وقد أذن المنادي بنداء (فاعتبروا يا أولي الأبصار).

ثمَّ عُنيَ أسدالدِّين بشؤون الولاية والنُّهوض بها نحو التقدم، وبدَّل ثوب الجند القصير بالثَّوب العباسي الفضفاض.

ولقد أنشد لسان الدَّهر وفقاً لهذه القصَّة الغريبة هذه الأبيات الطَّريفة:

«روز شنبه، كه دير شماسي	خيمه زد در سواد عباسي!»
«جمع بد خواه را پريشان ساخت	بفراغت بساط عيش انداخت»

{في يوم السَّبت، ضرب سكَّان دير شماسي الخيمة في الأرض العبَّاسيَّة، فشتتَّوا الجماعة المخالفة، وتقلَّدوا زمام الحكم هانئين فارغي البال}.

ولما كانت بوادر هذه النَّهضة الَّتي قامت بها الدَّولة الحكاريَّة -للمرة الثَّانية- في

اللوحة الثانية
احتلال قلعة (دزي) في ولاية حكاري

يوم (شنبه - السَّبت) - الذَّي يتلفظه سكَّان تلك المنطقة شنبو - اشتهر حكَّامهم بعنوان حكَّام شنبو[١٨]. هذا وإنَّ أسدالدِّين بعدما قضى ردحاً من الزَّمن حاكماً في حكاري وأميراً على شعبها وافاه الأجل، فقصَّر يده عن التَّمسُّك بالدُّنيا الفانية، وجعله يعتصم بذيول الدَّار الباقية.

«كدام دوحهء اقبال سر بچرخ كشيد كه صرصر اجلش عاقبت ز بيخ نكند؟!»

{أية دوحة من أدواح الحظِّ سمت حتى بلغت الأوج، ثمَّ لم تقلعها العاصفة من جذورها؟!}.

٤- الملك عزُّالدِّين شير بن أسدالِّدين زرين چنك

بعد أن توفِّي والده، تقلَّد زمام الحكم في حكاري، وتولَّى إدارة شؤون مملكته ردحاً من الزَّمن، ثمَّ أدركه الأجل فلحق بربِّه. وقد كان رحمه اللّه رجلاً بلغ ذروة العدالة، وتخلَّق بأحسن الخصال، كما كان ميالاً إلى الخير والإحسان.

(١٨) كثيراً ما يجد القارىء في آراء (شرفنامه) اضطراباً يجعله ينص على أنَّه لم يكن ليوفق بين سابق كلامه ولاحقه، إما لكونه قلق النَّفس بسبب مشاغل الإدارة والإمارة، وإما لكونه جمع هذه الموضوعات في ظروف مختلفة لم يتمكَّن خلالها مراجعة المباحث المسرودة. ولا غرو فيما قلنا، فإنَّ متصفح كتابه يدرك في آرائه تبايناً كثيراً. مثلاً إنَّه يحدثنا الآن عن سبب تسمية هذه الحكومة شنبو، يسبب نهوضهم في أحد أيام السَّبت، ويحدِّثنا في تراجم حكام خيزان (ص٣٧٩) بنوع آخر أقرب إلى الحقيقة فيقول:«إنَّ كلمات:(شمو - عزو - جمو - أبدو) خفِّت عن كلمات (شمس الدِّين، عزالدين جمشيد، أبدال) وإنَّ الأكراد ينحتون الأسامي إما لخفة التَّلفُّظ وإما للتَّحقير- وكذلك يحدثنا في تراجم حكام كليس عن أصل هذه الأسرة أنفسهم قائلاً: «إنَّ حكام (حكارى) يمتُّون بصلة النَّسب إلى الشَّخص المدعو شمس الدِّين الَّذي يدعونه الأكراد شمو ...» الأمر الَّذي يستدل به على أنَّ عنوان شمو المخفَّف من شمس الدِّين هو الَّذي تطرَّق إليه التَّحريف، وصار شنبو ، إذ الأكراد كما يسمِّون السَّبت شنبو، يسمِّونه شنبه وشمه وشمو أيضاً بحسب اختلاف سحن التَّلفظ. وإذا عرفنا هذا أدركنا أنَّ ما يدعيه بعض المستشرقين من أنَّ عنوان شنبو آشوري خروج عن الحقيقة وعدول عن النَّظر إلى الصِّيغة الكرديَّة المخففة، فإنها ليست إلا معدولة من كلمة (شمو) المخفَّفة من شمس الدِّين ظناً من المؤلِّفين والنُّساخ أنَّ شمو هذه مرادفة لشنبو الَّتي يعني بها يوم السَّبت.

٥- زاهد بيك بن عزّالدّين شير

لـمَّا توفِّي أبوه، تولّى الحكم على بلاده الوراثيـة مستقلاً. فامتدَّت أيام سلطنته زهاء ستين سنة لم يزل خلالها قائماً بشؤون ولايته. ثمَّ أذعن لسلطان الشَّاه إسماعيل الصَّفوي، فاعترف بحكومته، وشمله بأعطافه الجليلة، ومنحه عهداً بالولاية الوراثيَّة. وقد كان يجلّه ويكرمه، ولا يخاطبه إلا بلفظ (عمِّي!!) فكان الحبُّ بينهما متبادلاً، ومراعاة الصَّداقة والحلف وحسن الجوار كاملة. هذا، ولقد نجل ولدين، هما: ملك بك وسيد محمد بك. قسَّم أخيراً ملكه بينهما، ثمَّ أدركته المنون فارتحل إلى دار العقبى.

٦- ملك بك بن زاهد بيك

حلَّ محَّل والده في قلعة باي، فأخذ يعامل النَّاس بالعدل والإنصاف. وقد رزق سبعة بنين، هم: زينل بك وبايندر بك وبوداق بك وبايزيد بك وحسين بك وبهاءالدين بك ورستم بك.

أ- رستم بك: كان على عهد والده يتولَّى الحكم في قلعتي كواش[١٩] وإختمار[٢٠] فقام بحمايتهما وصيانة الأمن فيهما مدَّة من الزَّمن. وأخيراً وقع بينه وبين عشيرة روزكي نزاع بشأن تصرُّف تلك الأنحاء أدَّى إلى أن يمنى بالقتل.

ب- زينل بك: تآمر على والده بالإتفاق مع محمود آغا سلبى الَّذي كان دزداراً= محافظاً لقلعة باي وبعض وجهاء العشائر فشقَّ عصا طاعته أولاً، ثمَّ ثار ضده ونزع منه القلعة وانفرد بتصرُّفها. وأخيراً نشبت بينه وبين والده حرب مستعرة أسفرت عن إخفاق والده ووقوعه أسيراً بين قبضته فأزمع في أول الأمر على قتله، ثم عدل عن ذلك، وصمَّم أن يفقأ عينيه ويدعه مكفوف البصر. بيد أنَّ والده تمكَّن بواسطة ابنه حسين بك الَّذي بذل الجهد في سبيل إنقاذه من أن يتخلَّص بالفرار إلى وسطان والإلتجاء بحاكمها- وكان الحاكم آنئذ أخاه سيد

---

(١٩) كواش:هي مدينة أردمشت القديمة، وأحد الأقضية التَّابعة لولاية وان تحدُّها من الشِّمال بحيرة وان ومن الشمال الشَّرقي الولاية المركزية، ومن الجنوب قضاء عتاق ومكس، ومن الغرب قضاء قارچكانو مركز القضا قصبة وسطان.

(٢٠) إختمار: قلعة شيِّدت على جزيرة صغيرة في بحيرة وان على مقربة من ساحلها الجنوبي.

محمد بيك -ولم يلبث كثيراً أن بارحها إلى بدليس قاصداً حاكمها شرف بك الَّذي تلقاه بحفاوة بالغة، ورحَّب به أجمل ترحيب، ولم يدع صغيراً أو كبيراً من أنواع الخدمة إلاّ وقابله بها. ثمَّ إن ابنه زينل بك -وكان أكبر أولاده- لم يزل طموحاً يعنى بتوسيع مملكته حتى تمكَّن بعد وفاة عمِّه سيد محمد من الإستقلال بجميع ولاية حكاري كما سيأتي شرح حاله في موضعه.

جـ ـ بايندر بك: كان قد لاذ بالفرار قاصداً الشَّاه طهماسب الصَّفوي، إلاّ أنَّه لمّا لم يتلقَّ وعوداً بالحماية أو مدداً، فقفل راجعاً إلى وان بخفَّي حنين، فأدركه فيها الأجل معقباً ثلاثة بنين هم: زاهد بيك و محمد بيك و حاجي بيك.

د ـ بوداق بك: قصد بيت اللّه الحرام لأداء فريضة الحجِّ، فتوفِّي في الطَّريق مخلِّفاً ابنين، هما: مير عزيز وسلطان حسين.

هـ ـ بايزيد بك: إنخرط في سلك زعماء دياربكر -آمد، وذهب برفقة مصطفى پاشا السَّردار إلى شيروان. فلمَّا حدثت محاربة چلدر، وقع أسيراً إلى جانب القزلباش، فلمَّا جاؤوا به إلى قزوين، وأحضر بين يدي الشَّاه سلطان محمد، أصدر الأمر بإناطة أمره بابن أخيه زاهد بيك الَّذي لم يلبث أن أودى بحياته.

و ـ حسين بك: تقلَّد زمام حكومة ألباق[٢١] ردحاً من الزَّمن، وتوفِّي بعده مخلِّفاً ابنه إسماعيل.

ز ـ بهاءالدِّين: سنورد ترجمة حاله في البحث عن زينل بيك إن شاء اللّه.

٧- سيد محمد بك بن زاهد بك

تمكَّن بفضل مساعدة عشيرة پنيانشي له من التَّسلُّط على ابن أخيه زينل بك، من إجلائه عن ولاية حكاري، ومن أحتلال تلك الولاية الوراثَّية بكاملها. فطفق يتصرَّف فيها بالإستقلال التَّام. فلم يكن من زينل بك إلا أن عرض التجاءه على سلطان حسين بك حاكم العماديَّة وتيسَّر له بفضل توسُّلاته من أن يقصد مقام السُّلطان سليمان خان[٢٢]، فعني به وزير عصره رستم پاشا عناية بالغة. لكنَّه خاطبه قائلاً:

---

(٢١) ألباق: أحد الأقضية في سنجق حكاري إلى جهتها الشِّمالية. تحدُّها من الشَّرق الحدود الإيرانية ومن الشِّمال الغربي سنجق وان ومركزها باش قلعة.

(٢٢) هو السُّلطان سليمان القانوني تولَّى السَّلطنة من سنة ٩٢٦ هـ(١٥٢٠م) لغاية ٩٧٤هـ (١٥٦٦م).

«لـمَّا كنت سئمت من قبل من أطوار بني عمومتك، وغادرت وطنك إلى آذربيجان، وعرضت الطَّاعة على الشَّاه طهماسب، فلا يطمئنُّ القلب إليك، فإن أعدت أهل بيتك من الديار القزلباشية إلى تخوم بلادنا، اطمأنَّ البال إليك، وسينعم عليك بإيالة حكاري من العواطف السُّلطانية...!».

أصغى زينل بك إلى كلماته بأذن واعية، وقَّرر في نفسه مبارحة الآستانة لإرجاع أهله وعياله، فبارحها إلى ولاية حكاري، فاتَّفق ان اجتاز في أثناء سيره بولاية (بختى- بوتان- بوطان). فرأى بدر بك حاكم الجزيرة أن يثأر منه للعداء المتأصِّل بينه وبين عشائر حكاري أو مراعاة لصداقة سيد محمد الذَّي كان يريد أن يمنَّ عليه، فسيَّر لفيفاً من رجال بختى البسلاء ليتصدُّوا له في طريقه، فدارت بين الفريقين أرحاء قتال عنيفة أسفرت عن ظفر الفريق (البختي - البوطاني) وغلبتهم على زينل بك ورفاقه، فقتلوهم جميعاً وحُّزوا رؤوس جميع رفاقهم وتركوه وشأنه. ثُّم لـمّا جاؤوا برؤوس القتلى، وألقى عليه بدر بك نظره، ولم يشاهد بينها هامة زينل بك، سألهم عنها، فأجابوه: «إنهم أردوه قتيلاً، ولكنهم لم يحزُّوا رأسه، رعاية لجلالة قدره». فلـمَّا انتشر هذا النَّبأ في الجزيرة، وطرق مسامع عقيلة بدر بك التمست من زوجها أن يأذن لها بجلب جثَّة زينل بك إلى البلدة، لتجِّهزها وتكفِّنها حتى إذا حصلت على رضاه، أوفدت بعض ملازمي زوجها للاتيان بجثمانه، فساروا في غاية البدار إلى محل الحادثة، فوجدوا زينل بك، وفيه رمق من الحياة، فحملوه إلى الجزيرة، فلمّا أدركت السَّيدة حياته، أمرت بإحضار بضعة أطبَّاء مع الأدوية والأغذية والأشربة وما يحتاج إليه على نفقتها الخاصة، وشرعت تقنع زوجها بدر بك الَّذي ما زال ملحاً على قتله حتى أطفأت جذوة غضبه، وأنقذت حياته. وهكذا بعث اللّه له الشَّفاء العاجل. عند ذلك سيَّرته معَّززاً مكرَّماً، وبحفاوة بالغة إلى ولاية حكاري. فوصل زينل بك إلى مملكته الوراثية. وسنذكر قريباً ما آل إليه أمره وأمر أولاده بعده.

أما السَّيد محمد، فما كاد يستتبُّ له أمر الملك حتى أخذ إسكندر پاشا أمير أمراء (وان) يضمر له حقداً ويطلب من حكومة الآستانة أن تنعم عليه بولاية حكاري، ليمنحها بدوره زينل بك. وهكذا حتى استصدر أمراً سلطانياً بقتل سيد محمد وبالإنعام على زينل بإيالة حكاري. فطفق إسكندر پاشا يوفد إلى سيد محمد من يدعوه إلى وان. ولـمَّا كان سيد محمد واقفاً على المؤامرة الَّتي دبِّرت ضدَّه، حشد

جمعاً غفيراً سار به إلى وان لمواجهته. بيد أنَّه لم يدخل المدينة محتجاً بأن فيها وباءاً، والتقى معه في مكان عينه. وبعد أن تلاقيا بادر سيد محمد بالرُّجوع إلى وسطان. حتى إذا هدأ باله وذهب عنه الرَّوع وأدرك أنَّه نجا من مكايد إسكندر پاشا، أذن لرجاله أن ينفضُّوا من حوله، وأن ينصرفوا إلى أعمالهم. إلاّ أنَّه ما كاد يقضي أياماً فارغ البال هانىء الحال، حتى علم به إسكندر پاشا، فسيَّر إليه رئيس مماليك وان مع جمع كثير يبلِّغونه: «أنَّ أخباراً مؤسفة أستفاضت من تخوم القزلباش، توجب اتجاهه إلى وان بأقصى السرُّعة». وكان مع ذلك قد أوصى رئيس المماليك سراً: «أن يقبض عليه ويأتي به إلى وان مهما كلَّفه الأمر». فلمّا ذهب إليه ووصل إلى وسطان وبلَّغه الأمر، حاول سيد محمد الإمتناع من السَّفر، وأخذ يتلكَّأ، لكن ذلك لم يجده نفعاً، إذ أكرهه على السَّفر إليها إكراهاً. وما أن بلغ وان حتى ألقاه إسكندر پاشا في غيابة السِّجن. فلمّا رأى إبنه يعقوب بك ذلك، رغب في الحلول محلِّ أبيه في الحكم وخلَّص نفسه بالهرب إلى ولايته. فسيَّر إسكندر پاشا (حسن بك محمودي) المؤجِّج لنيران هذه الفتن، مع لفيف من مماليك وان لتعقيبه. غير أنَّه كان ساهر العين، وقد أدرك توجه الجيش إليه، فألقى بنفسه بين ظهراني عشيرة پنيانشي آملاً في أن ينجده شاه قلي بليلان في الاستيلاء على ولاية حكاري وتولّي حكمها. بيد أنَّ شاه قلي لمّا كان من ذوي قربى حسن بيك محمودي، وكانت تربطه به أواصر الإتفاق، وقد أزمع منذ مدَّة استئصال جذور أسرة سيد محمد، كفر بنعمة سادته القدماء، وسلَّم نجل ولي نعمته إلى حسن بيك وذهب به معه إلى وان. فأمر إسكندر پاشا بقتل سيد محمد ويعقوب بك، وأنعم على زينل بك بتقليده زمام حكومة حكاري.

هذا، وقد خلَّف يعقوب بك ثلاثة بنين، هم: أولان و سلطان أحمد وميرزا. وإذ كان أولان لم يفز من الولاية الوراثَّية بنصيب، فإنَّ ديوان السُّلطان مراد خان أناط به حكومة خوي، فقام بإدارة شؤونها ردحاً من الزمَّن كسنجق، ثمَّ أقصي عن منصب إمارتها، فيمَّم وجهه شطر الباب العالي حيث لقي حتفه مع ابنه عمر.

٨- زينل بك بن ملك بك

ألمعنا فيما سبق، إلى وقوف زينل بك ضدَّ أبيه حيناً من الزَّمن، وقيامه بمنازعة عمِّه، وإصراره على ذلك حتى حدث له ما ذكرناه ثمَّ تخلصُّه منه بفضل عقيلة حاكم الجزيرة التي أعادته سالماً إلى حكاري ومنذ ذلك اليوم لم يزل مزمعاً السَّفر إلى الآستانة حتى تلقَّى نبأ عزل رستم پاشا الوزير الأعظم، فخاب أمله، ولم يسعه الذَّهاب إليها ولا البقاء في ولايته، فاضطرَّ أن يبارح ولايته، ويقصد الشَّاه طهماسب. بيد أنَّ الشَّاه لما كان يراعي جانب سيد محمد لم يعن به ولم يلتفت إليه، فظَّل هائماً حائراً مدَّة من الزَّمن، حتى استفاض الخبر في الدَّيار القزلباشية بأنَّ رستم پاشا عاد إلى تسلُّم كرسي الوزارة بأمر من السُّلطان سليمان خان، للمرَّة الثَّانية، فعند ذلك قصد الآستانة، ولكن رستم پاشا لم يلبِّ طلبه إلى ما أراد، بل فوَّض إليه زعامة[٢٣] في ولاية بوسنة[٢٤] من أعمال روم إيلي[٢٥] ليتمكَّن بذلك من التَّرفيه عن نفسه.

ثمَّ لمّا احتلَّت قلعة وان، وقدِّر للأمير سيد محمد حاكم حكاري أن يتَّهم في حادثة السُّلطان مصطفى الشَّاهزاده[٢٦]: «بأنَّه كان واسطة التَّفاهم بينه وبين الشَّاه طهماسب، وبأنَّه حبك دسائس ومؤامرات أخرى». فبعثت هذه التُّهم على أن ينفِّذ إسكندر پاشا الأمر بقتله، وصادف أن أقصي رستم پاشا عن منصب الوزارة، قام إسكندر پاشا بترشيح زينل بك لتقليده حكومة حكاري، وعرض أمره على الآستانة،

---

(٢٣) يقول أحمد رفيق في كتابه (توركية تأريخي): إنَّ الأراضي كانت في العهد القديم أربعة أنواع (خاص، زعامة، تيمار، وقف).

(٢٤) بوسنه: من بلدان مجر القديمة تمتدُّ حدودها حتى شبه جزيرة البلقان «رومه لي» استولى عليها العثمانيون ثمَّ نزعت عنهم وضمَّت إلى النَّمسا.

(٢٥) روم إيلي - رومه لي، هي شبه جزيرة البلقان.

(٢٦) وحادثته هي: إنَّ عقيلة السُّلطان سليمان - والدة السُّلطان سليم - لمّا كانت ترغب في اختصاص ابنها بالسَّلطنة بعد زوجها، أخذت تشي اليه بالسُّلطان مصطفى، بأنَّه يحبك المؤامرات لقلب الدَّولة والقضاء على أبيه، وأنَّه هو الَّذي تسبَّب في زحف الشَّاه طهماسب على البلاد العثمانية من جديد...!» حتى تمكَّنت من إقناع زوجها بفكرة قتله الَّتي خمرته بالإشتراك مع رستم پاشا، فاتَّجه السُّلطان نحو قونيه للقضاء على ابنه. ولمّا كان غافلاً عما دبَّره له، استقبل والده. غير أنَّه ما كاد يدخل خيمته حتى اعمل فيه السَّيافون صوارمهم البواتر.

فجيء به من ولاية روم إيلي إلى وان. فلمَّا بلغها أرسله إسكندر پاشا إلى حدود القزلباش للإستطلاع والتَّجسس فاتَّفق أن التقى بأخيه بايندر بك الَّذي جاء أيضاً للإستطلاع والتجّسس بأمر الحكومة القزلباشية في ناحية سلماس فاصطدما، وأندلعت بينهما حرب ضروس أسفرت عن اندحار بايندر ووقوع بضعة أشخاص من رفاقه في الأسر إلى جانب زينل بك، فأتى بهم إلى إسكندر پاشا، فبعث هذا الظَّفر إلى ترقيته وتدُّرجه في التقدم، فعرض إسكندر پاشا إخلاصه ورغبته في الحصول على حكومة حكاري، واستحقاقه ذلك مع الأسباب الباعثة على قتل (السَّيد محمد) على السُّلطان، فصدرت الإدارة بإسناد إيالة حكاري إليه. فراح يدير شؤونها بالإستقلال، وحكمها زهاء أربعين سنة تخلَّلتها فترات قصيرة تولَّى الحكم فيها خلالها أخوه بهاء الدِّين بيك الذَّي اغتيل أخيراً بتحريض منه، ومن ابنه سيدي خان. ولم يبق بعده من ينازعه في الحكم. هذا وقد نجل أربعة بنين، هم: زاهد بك و سيدي خان وزكريا بك وإبراهيم بك.

١- زاهد بك :

نازع أباه الحكم مدَّة من الزَّمن، حتى صدر الأمر السُّلطاني بإقصائه إلى أصقاع بوسنه حيث كان أبوه مقصياً فيها.

٢- سيدي خان :

ثمَّ نزل زينل بك لابنه سيدي خان عن حكومة حكاري، واستصدر من الدِّيوان السُّلطاني العهد باسمه. بيد أنَّه لم يدم طويلاً أن كبا جواده، فخرَّ صريعاً، وتوفِّي في زهرة شبابه.

٣و٤- زكريا بك و ابراهيم بك :

وكذلك استصدر زينل بك البراءة لابنه زكريا بك بتولي إيالة حكاري كما جعل ناحية ألباق سنجقاً سجَّله باسم ابنه الآخر إبراهيم بك.

ولما حلَّ عام ثلاثة وتسعين وتسع مئة(١٥٨٦م) وسار عثمان پاشا الوزير الأعظم بأمر من السُّلطان مراد خان إلى إخضاع آذربيجان، كان قد صدر الأمر السُّلطاني إلى زينل بك بأن يقوم بشنِّ غارات النَّهب والسَّلب على بلاد القزلباش، وكان آنئذ

الشَّاه سلطان محمد «خدابنده الصَّفوي» مع ابنه حمزه ميرزاي في تبريز. فلمَّا اخترق نبأ توغُّل زينل بيك في مملكة مرند[٢٧] مسامعهما، سيَّرا الأمراء والقروجيين[٢٨] التُّركمان للحيلولة دون تقدُّمه.

وفيما شنَّ جيش (زينل بيك) غارة النَّهب والسَّلب على مناطق كركر[٢٩]، وزنوز ومرند، عادوا أدراجهم سالمين غانمين، ونزل زينل بك مع بعض رفاقه على مقربة من مرحلة (الكى) لأداء صلاة العصر، إذا بطائفة من التُّركمان قد باغتوهم بالهجوم، فأستعرت بين الفريقين نيران حرب ضروس أسفرت عن مقتل زينل بك ورفاقه الأمراء وأسر أبنه إبراهيم بيك فحمل شرفاء مرند وسكَّانها نعش زينل بيك إلى مقرِّه الأخير ودفنوه فيه، ثمَّ نقل جثمانه إلى جولامرك بعد أن فتحت تبريز فدفن في المدرسة الَّتي كان قد شيَّدها بنفسه.

ثمَّ إن ديوان السُّلطان مرادخان[٣٠] أنعم بإيالة حكاري على زكريا بك مثلما كان على عهد والده. أما إبراهيم بيك الواقع في الأسر فقد فودي بمبلغ جسيم وأنقذ من الأسر. ويتولّى الآن إدارة الحكومة في ناحية (الباق) على النَّمط الَّذي ألمعنا إليه سابقاً.

٩- زكريا بك بن زينل بك

لمّا امتدَّت أيام حكمه نحو عامين، رأى جعفر پاشا الوزير القائم بإدارة شؤون إيالتي وان وآذربيجان الَّذي حنق عليه بوشاية بعض مغرضيه أنَّ الشَّريعة المصطفويَّة، والقوانين العثمانيَّة، والعادة تقضي بإسناد إيالة حكاري إلى زاهد بك أكبر أبناء زينل بك، وهو الجدير بتولِّي هذا المنصب، قام في الفور يقترح ذلك على السُّلطان بعروض ولوائح حتى استصدر من الدِّيوان العثماني العهد الملكي بتفويض إيالة حكاري إلى زاهد بك.

---

(٢٧) مرند: كانت بلدة معروفة في إقليم آذربيجان بالقرب من ماكو.

(٢٨) قوروجي: معناه الحارس والحامي. وفي الإصطلاح القزلباشي نوع من الحرس السُّلطاني.

(٢٩) گرگر: كانت قصبة شيَّدها نوشروان بالقرب من أران = أريڤان.

(٣٠) يعني به - هنا وفيما قبل - السُّلطان مراد الثَّالث. تولَّى السَّلطنة سنة ٩٨٢ هـ(١٥٧٤م) لغاية عام ١٠٠٣ هـ(١٥٩٤م).

ثمَّ قام زاهد بك، بحسب الأمر الصَّادر من جعفر پاشا بشؤون الولاية المذكورة وحمايتها. غير أنَّ أكثر القبائل والعشائر فيها لـمّا كانوا موالين للأمير زكريا بك، أبوا الإذعان لحكمه، فأدّى ذلك إلى نشوب الحرب بين الفريقين، فأسفرت عن إخفاق زاهد بك ومقتله مع ابنه، فلمَّا اخترق نبأ هذه الكارثة الفظيعة مسامع جعفر پاشا نسب تفويض إيالة حكاري إلى ملك بيك بن زاهد بك واستصدر من الباب العالي براءة الإيالة باسمه. ثمَّ حشد عدداً عظيماً من قوات وان وتبريز، فسيَّرهم مع ملك بك لإخضاع الولاية قهراً وعنوة، وفي هذه السَّفرة لم يجد زكريا بك في نفسه كفاية للمقاومة، فالتجأ إلى الأمير سيدي خان حاكم العمادية وعرض بوساطته تفصيل الحادثة على الباب العالي. فصدرت الإدارة السُّلطانية بإناطة إيالة حكاري به على النَّمط السَّابق، على أن يدفع مئة ألف «فلورى» للخزينة العثمانيَّة. وقد تحقَّق هذا التفويض بفضل من سنان پاشا الوزير الأعظم.

وهكذا عاد زكريا بك إلى ولايته الوراثيَّة متقلِّداً زمام الحكم فيها، وأقصى عنها ملك بك الَّذي لم يلبث أن توجَّه إلى الآستانة للمطالبة بحكومته. ولكن مرض الطَّاعون حال دون الفوز بأمنيته، فأودى بحياته.

ولـمّا بدرت طلائع سنة خمسة وألف (١٥٩٦م) أدَّت وشايات الرَّجل المسمَّى فخرالدِّين الذي مكث في الباب العالي سنين، يتولَّى خلالها النِّيابة عن زكريا بك، إلى أن ينفذ القتل في الرَّجل المسمَّى أبا بكر آغا الَّذي كان من معتمدي «كتخدا» زكريا بك، وكان معروفاً بصدقه وإخلاصه وتقواه.

وخلاصة قصَّته أنَّ فخرالدِّين المومأ إليه كان قد بذل الجهد لالتزام سنجق خوي الذَّي تمكَّن أولاد شاه قلي بليلان من التزامه بفضل إبن أخيهم الأمير سيف الدِّين باسم حسن بك بن سيدي خان بك ابن أخي زكريا بك، واستحصل البراءة الملكيَّة باسمه من بلاط السُّلطان محمدخان[٣١] فأدى ذلك إلى تجدُّد اضطرام نيران العداوة القديمة بين زكريا بك وأولاد شاه قلي بليلان وكانت خابية بفضل أبي بكر آغا، وأعقبتها فترة صداقة وولاء، وأدَّت إلى أن ينهض إبراهيم بك لغزو خوي واحتلالها

(٣١) يعني السُّلطان محمد خان الثَّالث، تولَّى السَّلطنة من سنة ١٠٠٣ هـ(١٥٩٤م) لغاية عام ١٠١٤هـ (١٦٠٤م). وهو المعروف بلقب فاتح أكري.

مرّات عدّة. فقاومه فيها الأمير سيف الدِّين ولم يمكِّنه منها. وأخيراً استعرت بينهما نار الحرب، فتكبَّد الطَّرفان خسائر فادحة من الأموال والأنفس، واستنجد إبراهيم بك بالأمير زكريا بك وألحَّ على ذلك، ولكنَّه لم يمدُّه بمعونة ما، إذ لم يكن يرضى وكيله أبو بكر آغا بإشعال نار الفتن. وإذا كان قد أمدَّه ببعض رجال العشائر، فإنَّ ذلك لم يكن معدوداً من المساعدة. ولم يزل الأمر كذلك حتى اتَّجه أبو بكر آغا من وسطان قاصداً أمير الأمراء «ميري ميران» سنان پاشا لتهنئته بمنصبه الجديد وقد حمل إليه تحفاً وهدايا ثمينة، فانتهز فخرالدِّين المشار إليه (وكان رجلاً نمّاماً ويعلم أنَّ سنان پاشا رجل طمَّاع جشع) فرصة غيابه، وأخذ يأتمر به، فدبَّر بالإتفاق مع حسن بك بن سيدي خان تآمرة للوشاية به، واتجه بنفسه إلى وان ليبلِّغ سنان پاشا كلمات اختلقها من عنده على لسان زكريا بيك فحواها: (إنَّ أستبداد أبي بكر آغا برأيه، وتصرُّفاته الشَّاذة، هما اللَّذان أحرجا موقفي ودفعاني إلى المكروه، فلو أنَّ سنان پاشا قبض عليه وقتله، لكافأته على ذلك بثلاثة قناطير «خروار» من الذَّهب. فلم يكن من سنان پاشا الجشع، حين تلقَّى هذه الكلمة إلاّ أن عدَّ الوعد غنيمة كبيرة وفوزاً عظيماً، وقبض على أبي بكر آغا وقتله.

والآن والتأريخ الهجري في عامه الخامس والألف(١٥٩٦م) فإنَّ زكريا بك يتولَّى شؤون الحكومة في چولامرگ الَّتي لم تزل مقرَّ سلطنته. أما إبراهيم بك فإنه يتولَّى شؤون الحكومة في ألباق. [والمأمول أن يوفَّقا للقيام بالأفعال المرضية][٣٢].

(٣٢) ينقل السيد محمد أمين زكي بك عن بعض المؤرِّخين: «إنَّ هذه الحكومة «حكاري» دامت حتى عام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٥م). وقد تولَّى شؤونها إلى عام ١٠٤٩ هـ (١٦٣٩) أمير يدعى مير عمادالدِّين، ثمَّ أمراء آخرون. وكان نور اللّه بك حاكم، (بختي - بوطان) آخر حكام هذه الأسرة. ونقل عن أوليا چلبي: «إنَّ هذه الإمارة كانت ذات قوَّة وبأس، وكانت تحتفظ دائماً بعشرة الآف نسمة من الجنود المسلَّحين. وكان في مكنتها أن تحشد، وقت الحرب، جيشاً قوامه خمسون ألفاً. هذا ولم نجد مصادر أخرى تعيننا على مواصلة البحث حتى عهدنا.

الفصل الثالث

في ذكر حكَّام العماديَّة المشهورين بأسرة بهادينان[1]

إنَّ المغرِّدين في حدائق غرائب الأخبار، والقصَّاصين في رياض عجائب الآثار، أوردوا «إنَّ نسب حكام العماديَّة، كما يزعمون هم أنفسهم، ينتهي إلى الخلفاء العباسيِّين». وفي رواية أوردها بعض المؤرِّخين القدماء «إنَّ نسبهم ينتهي إلى رجل اسمه عباس كان من المشاهير والوجهاء المعروفين (والعلم عند اللّه). وعلى كل فإنَّهم اشتهروا باسم بني العباس. وقد نزحوا في الأصل من منطقة شمس الدَّينان[2] إلى العماديَّة. وقبل أن ينزحوا إليها كان آباؤهم وأجدادهم يتولَّون الحكم في قلعة طارون من أعمال شمس الدَّينان - شمدينان[3].

كان الرَّجل الَّذي برح طارون إلى العمادية يدعى بهاءالدِّين، فعرفت أسرته الَّتي تولَّت في العماديَّة الحكم عند حكام كردستان، وأمرائها باسم بهادينان. وقد صحَّت الروايات «أنَّ ذرية بهاءالدّين تقلَّدوا شؤون الحكومة في تلك المنطقة منذ زهاء أربع مئة سنة».

وقلعة العماديَّة من الآثار المستحدثة، شيَّدها عمادالدِّين زنكي بن آق سنقر[4]

---

(١) مخفَّف بهاءالدِّين جد الأسرة المؤسِّسة لهذه الإمارة، وبهذه المناسبة يطلق الأكراد على منطقة العمادية وملحقاتها من القصبات والنَّواحي التَّي حكمتها هذه الأسرة إسم بادينان = بهدينان = بهاءالدِّينان.

(٢) يعني منطقة شمس الدِّينان = شمدينان في ولاية حكاري = هكاري القديمة من أعمال إيالة (وان) الحالية الخاضعة للحكومة التُّركية.

(٣) طبع عام ١٩٩٨ كتاب باسم تأريخ العمادية لمؤلفه المحامي الأُستاذ عباس العزاوي فيه مواضيع قيِّمة وأشياء مفيدة، ولاسيَّما فيما يتعلَّق بانتحال اللقب العباسي، فأُحيل القرَّاء إليه.

(٤) تقلَّد زمام السَّلطنة في بغداد والموصل بأمر من السُّلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السَّلجوقي سنة ٥٢١ هـ(١١٥٦م) ثمَّ استقل بالحكم في بلاده ولم يزل حاكماً حتى وفاته سنة ٥٤٠

والي الموصل وسنجار على عهد السَّلاطين السَّلاجقة. وهذه القلعة تقع مع المدينة فوق صخرة مدوَّرة الشَّكل يخمَّن ارتفاعها من بعض الجهات بمئة ذراع، ومن بعضها بما يتراوح إلى ستين ذراعاً، وفي بعضها بعشرين ذراعاً. وقد حفرت وسط القلعة بئران، يعتمد على مائهما الحمَّام والمدرسة وكثير من الأماكن. أمَّا ماء الشُّرب، فالسُّكان يجلبونه من خارج المدينة على ظهور الدواب[٥].

أما آداب سكَّانها وعاداتهم وتقاليدهم ومناطق لغاتهم، فهي مزيجة من الكردَّية والعربيَّة[٦] وكلُّهم، صلحاء صغاراً وكباراً ومتمسِّكون بالدِّيانة، محبُّون للخير وميَّالون إلى البرِّ والإحسان. ولقد شيَّد الحكَّام في هذه البلدة مدارس ومساجد يعنى فيها العلماء وذوو الفضل بشؤون العلوم الدِّينية وتدريسها، فيفيدون ويستفيد النَّاس منهم.

ومن عشائر العماديَّة الكبيرة في الدَّرجة الأولى عشيرة مزوري[٧]، ثمَّ عشيرة زيباري[٨] و(زي) إسم نهر في العماديَّة، و«بار» الضفة تقطن هذه العشيرة على

هـ(١١٤٧)م وكانت عمارة هذه القلعة سنة ٥٣٧هـ (١١٤٢م) على أطلال قلعة آشب التأريخية. هذا ونقل السيد محمد أمين زكي بك في كتابه (١٥٤/١) عن حمد اللّه المستوفي القزويني «اسم العمادية جاء نسبة إلى عماد الدَّولة الأمير الدَّيلمي الَّذي كان حاكماً بها سنة ٣٣٨هـ (٩٤٩م) وتعرف هذه المدينة بين الأكراد باسم آميدي.

(٥) هذا في عهد المؤلِّف، أما عهدنا هذا فإنَّ المدينة زوِّدت ماء الشُّرب بالمضخات الَّتي تسحب من وادي السَّولاف وتوزِّعه على البيوت في الحوض الكبير الَّذي أسَّسته البلدية في القلعة.

(٦) يعني أنهم أخذوا شيئاً كثيراً من آداب العرب وتقاليدهم بواسطة الدِّين الإسلامي وإنَّ في لغتهم كلمات من العربية.

(٧) جاء في خلاصة تأريخ الكرد وكردستان (٧٩/١ - ٤١٠): إنَّ عشيرة مزوري هذه منحدرة من سلالة ميسوري = ميسري الَّتي كانت تقطن في هذه الأنحاء نفسها في عهد الملك سنحاريب الآشوري. ويزعم عباس العزاوي المحامي أنَّ هذا الاسم محرَّف من اسم عشيرة (مضر) العربية، ولكن ليس هناك مصادر تؤيِّد زعمه هذا. وتشغل هذه العشيرة اليوم ناحية بكاملها في قضاء دهوك. ويبلغ تعدادهم ١٧٠٠ أسرة.

(٨) لفظة مركبة من (زي) النَّهر، و(بار) الضِّفة، ومعناها العشيرة القاطنة على الضفة، ويقطن القسم الأعظم من هذه العشيرة اليوم قضاء زيبار المسمَّى باسمها الملحقة حديثاً بلواء أربيل. وقسم منها ضمن قضاء عقرة، ويبلغ تعدادها اليوم ٢٠٠٠ أسرة.

اللوحة الثالثة

ضفافها فسمِّيت به، ويقال له نهر الجنون أيضاً لسرعة جريانه)، ثمَّ عشيرة رادكاني (الَّتي يلفظها عامة الأكراد ريكاني[٩]. أما بقيَّة العشائر فهي پروري[١٠] ومحل وسياب كوري وتيلي وبهل[١١]. (بهل في إصطلاح سكان تلك الأنحاء اسم للوادي). ومن القلاع المشهورة التَّابعة لولاية العماديَّة، قلعة عقرة وقصبتها تحوي ألفاً ومئتي بيت ما بين مسلم ويهودي. ثمَّ قلعة دهوك[١٢] ثم قلعة دير (ويدير شؤونها أمراء من بني أعمام حكام العماديَّة). ومن قلاعها بشرى (الخاضعة لتصرُّف عشيرة رادكاني[١٣] وقلعة قلادة شوش وقلعة عمراني وقلعة بازيران[١٤] وتخضع لتصرُّف عشيرة زيباري.

ومن النَّواحي المهمة التَّابعة لإمارة العمادية في الدَّرجة الأولى ناحية زاخو والعشيرة الضَّاربة بها قبيلتا: سندي[١٥] وسليماني - سليفاني[١٦]، ويطلق النَّاس عليها في تلك الأنحاء اسم ولاية سنديان[١٧] أيضاً. ومن هذه النَّاحية نشأ أكثر علماء كردستان وفضلائها العظام[١٨].

---

(٩) رادكاني = ريكاني: عشيرة من ملحقات قضاء عمادية الحالي.

(١٠) تعرف هذه العشيرة اليوم باسم برواري المتشعِّبة إلى برواري زير وبرواري بالا ويقطن القسمان في الجهتين الشِّمالية والجنوبية من نهر الكارة من روافد الزَّاب الأعلى ويبلغ عددهم ١٧٠٠ أسرة تقريباً.

(١١) تقطن القبائل الأربعة الأخيرة اليوم في تركية أما كلمة بهل فغلط. صحيحها نهل وهي مشهورة بـ(نهل گفر).

(١٢) هي قضاء دهوك الحالي التَّابع للواء الموصل في العراق.

(١٣) في النُّسختين الخطيِّتين زنگاري [محمد علي عوني] وهي خطأ بل الكلمة ريكاني وهي العشيرة المعروفة إلى يومنا هذا.

(١٤) بازيران: لعلَّها منطقة بارزان الحالية، تناولها التَّحريف فصارت بارزان. والعشيرة القاطنة بها في عهدنا هذا تدعى بارزان وكان عدد نفوسها يبلغ ٣٠٠٠ أسرة تقريباً غير أنَّ الثَّورات الَّتي قام بها رئيس هذه العشيرة، الملا مصطفى البارزاني أدَّى إلى إجلاء القسم الأعظم من هذه العشيرة.

(١٥) تبلغ نفوس هذه العشيرة اليوم ٢٠٠٠ أسرة تقريباً وهم يسكنون بين نهري الهيزل والخابور.

(١٦) لهذه العشيرة شعبتان: شعبة منها في نفس المنطقة أي في قضاء دهوك الحالي والشُّعبة الأخرى في قضاء زاخو = سنديان.

(١٧) لعلَّها نسبة إلى عشيرة سندي المذكورة.

(١٨) إلى هذه البلدة ينتمي إبن الحاجب العلاَّمة النَّحوي المعروف وقد سبق أن ترجمنا له حياته عند

وقد كانت منذ قديم الأزمنة، ملكاً للغير لها حكام مستقلُّون، ولم تكن من أعمال العماديَّة قط، غير أنَّه لَمَّا تضاءل نفوذ حكَّامها وخارت قواهم، أضافها حكَّام العماديَّة إلى مملكتهم. ولايزال الشَّخص المدعو يوسف بك من حفدة هذه الأسرة على قيد الحياة يتولَّى الخدمات الحكوميّة لدى حكَّام الجزيرة. أمّا المنحدرون من صلب بهاءالدِّين الَّذين تولَّوا إدارة شؤون الحكومة العماديَّة، فبعضهم مجهولوا الهويَّة والترجَّمة ومنهم من تعرف نبذ من تراجمهم، وسنبسط سيرهم حسب ترتيب توليهم زمام الحكم بعون اللّه الملك الصَّمد.

١- الأمير زين الدِّين

في أيّام سلطنة الأمير تيمور گورگان وولده شاه رخ سلطان، كان يتولّى الحكم في ولاية العمادية الأمير زين الدِّين متمتِّعاً بالسَّعادة والرَّفاه. ولَمّا انتقل هذا الأمير الوفي لأصدقائه والمكافح لأعدائه إلى رياض الرِّضوان حَّل محلَّه ابنه المحظوظ.

٢- الأمير سيف الدِّين

قام مقام والده في حكم المملكة فبسط ظلال العدل والرَّحمة ونهض بالشَّعب. ثمَّ لَمَّا انتقل ذلك الأمير الحسن الاعتقاد إلى رياض الخلد خلَّف إبنين اسمهما حسن وبايرك[١٩].

٣- حسن بن الأمير سيف الدِّين

قام حسن وهو أكبر نجلي والده مقام أبيه فسيَّر سلاطين (الآق قويونلو - الخروف الأسود) على عهد حكمه سليمان بيك بيژن أوغلي[٢٠] إلى ولاية العماديَّة لاحتلالها وإخضاعها لأمرهم. فتوغّل سليمان بك في المملكة، واحتل قلعة عقرة وقلعة شوش. إلاَّ أنَّ جميع الجهود الّتي بذلها لفتح قلعة العمادية قد ذهبت أدراج الرِّياح، وانقلب عليه الأمر فضاق به ذرعاً، وانسحب منها بجيشه وولّى هارباً.

البحث عن الملوك الأيوبيين. راجع التعليقة الثانية على (ص١٧٧)

(١٩) بايرك: لعلَّ هذا الاسم خطأ، صوابه بايرام بك = بهرام بك.

(٢٠) هو سليمان بن بيثرن من قواد حسن الطويل وكانت سفرته هذه سنة ٨٧٥هـ (١٤٧٠م).

اللوحة الرابعة
(مدرسة) او(مستشفى)
مقابل حملة وقد يشد الحكام في هذه البلدة مساجد ومدارس

ثمَّ إنَّ الأمير حسن بعد أن تمكَّن من استئصال شأفه سلاطين الآق قويونلو من هذه المنطقة قصد الشَّاه إسماعيل الصَّفوي. فقوبل بحفاوة بالغة[٢١] وإعزاز وإكرام. ثمَّ أخذ يوسِّع ملكه، فنزع أولاً قلعة دهوك من عشيرة (طاسني - داسني) وأضافها إلى مملكته الوراثيَّة، كما أنَّه نزع ناحية (سندي - زاخو) من عشيرة سندي الَّتي كان يحكمها حاكمها المستقل، فضمَّها أيضاً إلى العماديَّة[٢٢] هذا وقد لحقته الوفاة[٢٣] بعدئذ معقباً سبعة بنين هم: سلطان حسين وسيدي قاسم ومراد خان وسليمان وپير بوداق وميرزا محمد وخان أحمد.

ولما كان سلطان حسين أكبر أخوته سناً وأجلَّهم قدراً وكفاية، تولَّى الحكم مكان والده وسيأتي شرح حاله مع تراجم حياة أولاده...

أما إخوته، فإنَّ سيدي قاسم توفِّي عن ابنه المدعو علي خان. وأما مراد خان فلم يخلِّف ومني بالقتل في حادثة جرت لأخيه قباد بك. وأمَّا سليمان فقد ترك ابنه الموسوم شاه رستم كما أنَّ پير بوداق خلَّف ولداً وأعقب ميرزا محمد ابناً سمَّاه سلطان محمود وخلَّف خان أحمد ابناً يدعى شاه يوسف وكان بايرك بن سيف الدِّين قد أعقب ابناً معتوهاً مبرسماً أضحى أخيراً سبباً في حادثة جرت للأمير قباد بك أدَّت إلى مقتله والفوضى في النِّظام.

٤- سلطان حسين

كان من أنبل أسرته المعروفة ببني عباس وأكفأ إخوته. تقلَّد بموجب العهد الممنوح له من السُّلطان سليمان خان زمام الحكم على مملكة العماديَّة وكان عالماً فقيهاً يعتني بأهل العلم والصَّلاح فيرفق بهم ويبالغ في مدِّ يد المساعدة إليهم، كما أنَّه نشر لواء العدل على الشَّعب والجيش، الأمر الَّذي أدَّى إلى أن يحبَّه شعبه صغيرهم وكبيرهم وأن يثنوا عليه. أمّا في القيام بالخدمات السُّلطانية فلم يكن ليدانيه أحد من أمراء

---

(٢١) كان ذلك سنة ٩٠٦هـ (١٥٠٠م).

(٢٢) لعلَّ هذه الإضافة كانت على عهد خضوع هذه المناطق لسيطرة ياوز سلطان سليم فإنَّ قلعة العمادية خضعت له سنة ٩٢١هـ (١٥١٥م) حيث احتلها بيقلو محمد پاشا الآمدي مع كثير من البلدان الكردية الأخرى بعد موقعة چالديران بسنة واحدة.

(٢٣) كانت وفاته سنة ٩٤٠هـ (١٥٣٣م).

عهده. وكان أمراء كردستان وحكامها كافة يرجعون إليه في مهماتهم لدى الباب العالي ويسيرون على الخطَّة الَّتي يضعها لهم ولا يتعدَّون ما يرتضيه من الرَّأي وقد كان معزَّزا لدى الباب العالي. فلم يكن ليعرض عليه قضية تخصُّ البلاد الكردَّية أو أي قطر آخر من المحميات العثمانيَّة إلا ويلبِّيه خير تلبية من دون أن يسدَّ الباب في وجهه. وقد تمتَّع بالحكم زهاء ثلاثين سنة على هذه الوتيرة في العمادَّية ومضافاتها وملحقاتها[٢٤].

وفي سنة[٢٥] وتسع مئة أدركه الأجل المحتوم مخلِّفاً خمسة بنين، هم قباد بك[٢٦] وبايرام بك ورستم بك وخان إسماعيل وسلطان أبو سعيد.

٥- قباد بك بن سلطان بك

لَّما توفِّي أبوه أخذ بموجب العهد الصَّادر من السُّلطان سليم[٢٧]، يتقلَّد زمام

---

(٢٤) كان السُّلطان حسين هذا حاكماً نبيهاً على جانب عظيم من الجرأة والبسالة تدرَّج في التَّرقي وفي توسيع مملكته حتى ضمَّ إليها الموصل زهاء أربع سنين. وقد كان ممَّن يفتخر به الأكراد لولا أنَّه بذل جهده في سبيل إعلاء شخصيته وتوسيع نفوذ الدَّولة العثمانية وإذلال أمته الكردية للحصول على مآربه، فإنَّه خدم الدَّولة العثمانية في حروب عدة، منها أنَّه أغار على منطقة شهرزور مع القوات العثمانية فاحتلها وسبَّب انهيار حكومة أردلان الكردية المستقلة عام ٩٩٤هـ (١٥٣٧م) وإدخالها في الحماية العثمانية. ومنها أنَّه اشترك في الحرب بجانب الحكومة العثمانية ضدَّ الدَّولة الإيرانية سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٣م) على عهد السُّلطان سليمان خان القانوني فاحتلَّ تبريز والمناطق الكردية في آذربيجان وأمر أبطال جنده أن يشنُّوا عليها غارات النَّهب والسَّلب. أما ما جاء في مقال كتبه بعضهم من أنَّه اشترك في موقعة چالديران الأولى سنة ٩٢٠ - ٩٢٢هـ (١٥١٤ - ١٥١٦م) - على عهد أبيه فرأي خاص به لا يؤيِّده أي مصدر تأريخي بل الأمر بالعكس فإنَّ البلاد الكردية كانت في تلك الآونة متحالفة مع الدَّولة الإيرانية ولم تثر ضدَّها إلا عندما اتَّفق مولانا إدريس البدليسي مع السُّلطان سليم حيث قام بيقلو محمد پاشا الآميدي باحتلال ماردين والموصل وسنجار وحصن كيفا وچمشكزك والعمادية وسوران وعامة جزيرة إبن عمر.

(٢٥) هذا البياض طبق الأصل الفارسي وهو من العلامات التي وضعها المستشرق الروسي (ف. فلياميـنوف زرنوف) للدَّلالة على وجود نقص في تأريخ وفاته. ولعلَّه يعني أنَّ وفاته كانت سنة ٩٨٤هـ (١٥٧٦م) بحسب الكتابة الموجودة على باب القبَّة الَّتي دفن فيها.

(٢٦) قباد بك: ضبطه مستر لونگريك بلفظه (قهاد بك)، ولعلَّها خطأ مطبعي.

(٢٧) هو السُّلطان سليم خان الثَّاني بن السُّلطان سليمان القانوني. تولَّى السَّلطنة من سنة ٩٧٤هـ

تصرُّف ولاية العماديَّة. فكان رجلاً هادىء الطَّبع، صوفي المذهب، سليم النيَّة، رحيم القلب، لا يتوانى عن أداء الفرائض الخمس في أوقاتها. وكان إلى جانب ذلك مولعاً بالصَّيد والقنص. أمّا في الأمور الدُّنيويَّة، وما يتعلَّق بشؤون المملكة، فقد كان غمراً جاهلاً بحيث كان يقابل مخالفة صغيرة بإهدار دماء غزيرة، ولكنَّه يغضُّ النَّظر عن الجنايات الخطيرة والجرائم الكبيرة، فنفر منه العشائر والقبائل وانفضَّ الجميع من حوله ورغب الشَّعب في الخضوع لحكم أخيه بيرام بك فانحازوا إليه جميعاً. بيد أنَّ بايرام بك لمَّا لم يستطع التَّغلُّب عليه ونزع الحكم منه، ولم يتمكَّن من الوقوف في وجهه لاذ بالفرار إلى قزوين، حيث حظي بزيارة الشَّاه إسماعيل الثَّاني[٢٨] وفاز منه بمواعيد جليلة.

ثمَّ إنَّ عشيرة مزوري - ميسوري الَّتي هي من أهمِّ العشائر في تلك المنطقة ثارت على قباد بك، وشقَّت عصا الطَّاعة له وأتت من بني أعمامه بالشَّخص المدعو سليمان بن بايرك بن سيف الدِّين فولَّته على رأسها.

ولمَّا كان زينل بك حاكم حكاري يحقد على قباد بيك ويضمر له البغضاء والكراهية أوفد في طلب بايرام بيك من يأتي به، فجيء به من قزوين بعد أن أنقذ من سجن الشَّاه سلطان محمد. فلمَّا طرق نبأ عودته مسامع قباد بك أوجس في نفسه خيفة منه، واعتراه الفزع فترك الحكومة وفرَّ نحو الموصل وسنجار. أمّا بايرام بك فإنه قصد العماديَّة للمطالبة بحكومته الوراثيَّة. فلمَّا أدرك القائد فرهاد پاشا الوزير ما عزم عليه، أناط به ناحية زاخو = سندي بعد اعتبارها سنجقاً، وظلَّ قباد بك قلقاً مذعوراً. وأخيراً بارح الموصل إلى آمد = ديار بكر، وتوجَّه منها نحو الآستانه فتمكَّن بفضل مساعدة سياوش پاشا الوزير الأعظم من الحصول على عهد جديد بحكومة العماديَّة وعاد إليها. فلمَّا وصل إلى قلعة دهوك، قرَّر أن يقوم باديء بدء بقطع دابر الفوضويِّين من العشائر العابثة في الأرض الفساد بالأسر والقتل، وبعد أن يفرغ باله ويستتبَّ له الأمر يتوجَّه إلى العماديَّة فيتَّخذها دار الحكم والإقامة. بيد أنَّ سليمان بن بايرك الَّذي ألمحنا إليه آنفاً، قد اتَّفق مع مير ملك

(١٥٦٦م) لغاية سنة ٩٨٢هـ (١٥٧٤م).

(٢٨) هو الشَّاه إسماعيل بن الشَّاه طهماسب، وقد مرَّت ترجمة حياته في ص(١٦٧).

مزوري[٢٩] للقيام ضدَّه، فحشدا جمعاً غفيراً من الرِّعاع، وشنَّا بهم غارة عنيفة على قباد بيك فحاصراه في قلعة دهوك وضيَّقا عليه الخناق وأخيراً تفاهما مع سكان القلعة ففتحوا بابها في وجههما فظفرا بالأمير قباد بك مع أحد أبنائه وأشخاص آخرين من رفاقه، فأوديا بحياتهم جميعاً ونهبا أموالهم وأثقالهم[٣٠].

أمَّا بايرام بك، فإنَّه لمَّا وقف على هذه الكارثة الفظيعة، غادر زاخو - سنديان عدواً وهرباً، وانخرط بين قبائله وعشائره. فلم يكن من سليمان بك وزميله مير ملك إلاّ أن رجعا به، وقلَّداه زمام حكومة العماديَّة، ونصَّباه حاكماً عليها كرهاً منه. وقصد كل من ابني قباد بك المدعوَّين: سيدي خان بك وسلطان أبو سعيد (السُّلطان مراد خان الثَّالث) يرفعان إليه شكواهما. وهكذا استقبل الشَّعب بايرام بك باحتفاء وإجلال، وعدُّوا دفع قباد بك فوزاً عظيماً.

٦- بايرام «بهرام» بك[٣١] بن سلطان حسين بك

كنَّا قد أوضحنا سابقاً أنَّ بايرام بك قصد -خوفاً من أخيه- الشَّاه إسماعيل الثَّاني وأنَّه قبل التجائه بحفاوة بالغة وإعزاز، غير أنَّه لمَّا توفِّي الشَّاه إسماعيل وتولّى أخوه الشَّاه سلطان محمد السَّلطنة، لم يعن بحمايته حق العنايّة، بل انقلبت الآيه، فقد حنق عليه وزجَّه في السِّجن في قلعة (آل موت - قلعة العقاب). ووقف زينل بك حاكم حكاري على حاله فبذل الجهد لإنقاذه مراسلاً أمير خان حاكم تبريز للتَّوسُّط في الأمر فتمخَّضت النَّتيجة عن مفاداته بأتاوة قدرها خمسة آلاف جنيه ذهبي «فلوري» لكل من الشَّاه سلطان محمد وأمير خان، لقاء تخليص بايرام بك من قلعة آل موت وتسليمه إلى زينل بك. فدفع زينل بك هذا المبلغ الجسيم لملازمي أمير خان وأخرج بايرام بك من السِّجن.

ثمَّ إنَّ بايرام بك بعد ما جرت له الحوادث المذكورة، تولَّى الحكم على العماديَّة،

---

(٢٩) وكذلك يدَّعي السيد محمد أمين زكي بك «إنَّه كان من أمراء عشيرة مزوري. ولكنَّ الظَّاهر من اسمه أنَّه كان من رؤوساء النَّساطرة، أو من رؤوساء اليزيدية.

(٣٠) كان ذلك سنة ٩٨٤هـ (م١٥٧٦).

(٣١) في مقال نشر في (جريدة الأخبار) بعددها المرقَّم (٥٧١٩): «إنَّ (بايرام بك) هذا، ولد سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م). وتولَّى الحكم زهاء ست سنين، وقتل سنة ٩٩٤هـ (١٥٨٦م).

وعامل الشَّعب والمواطنين في تلك الانحاء معاملة بلغت ذروة الرَّأفة والعدل. ولمَّا استفاض نبأ عدله، ورضي سكان العماديَّة منه، وبلغ ذلك عثمان پاشا الوزير الأعظم، وقائد العجم[٣٢]، لم يكن منه إلاّ أن اعترف بحكومته، واستصدر العهد السُّلطاني باسمه. وأرسل به إليه من قسطموني[٣٣].

أما سيدي خان بك بن قباد بك الَّذي قصد أعتاب السُّلطان مراد خان، فإنَّه لمَّا عرض عليه نبأ حادثة قتل أبيه وانقلاب العشائر والقبائل عليه، وتقلَّد بايرام بك زمام الحكومة مكانه، لم يكم منه إلاَّ أن أنعم عليه بحكومته الوراثيَّة، وأعاده إلى العمادية موعزاً إلى فرهاد پاشا القائد، القيام بتفحُّص أحوال بايرام بك، والقضاء على شقاة العماديَّة، وأصدر في هذا الشَّأن الأوامر المطاعة، والعهود النَّافذة، فأخذ القائد، للتمكُّن من إرضاء بايرام بك وإغرائه ليستردَّ منه إيالة العمادية بمنحه سنجق حصن كيفا إضافة إلى حكومة زاخو - سنديان الخاضعة له. وأخذ يراسله برسائل يستميل فيها خاطره، جاء فيها: «إنَّ المصلحة تقتضي أن تترك حكومة العماديَّة للأمير سيدي خان تلبية للأوامر الهمايونيَّة وتسير في هذا العام مع الجيش إلى گرجستان - جورجيا لأداء الخدمات السُّلطانية لنتمكن بعد العودة من السَّفرة من عرض عبوديتك وإخلاصك على الأعتاب السُلطانية لينعم عليك بأيالة العماديَّة. فقنع بايرام بك السَّاذج بهذا القول، ونزل عن أيالة العماديَّة بعد أن تقلَّد حكمها ثمانية أشهر، ليتولَّى سيدي خان حكمها. وهكذا تخلَّى عنها واصطحب الجيش العرمرم الَّذي كان يقوده ذلك القائد المنصور إلى جورجيا - گرجستان. فلمَّا عاد من السَّفرة المذكورة أودعه القائد في السِّجن في (أرضروم = أرزن الروم). وسنذكر فيما يلي ما آلت إليه حاله مفصَّلا (بعون اللّه الملك الحميد المجيد).

٧- سيدي خان بن قباد بك[٣٤]

لمَّا أناطت الدَّولة العثمانيَّة إيالة العماديَّة به ومنحته الرُّتبة الَّتي كان قد مُنِحَها

---

(٣٢) لعلَّه يعني قيادة الجيوش المتَّجهة إلى آذربيجان.

(٣٣) كانت من السَّناجق التَّابعة لإيالة كوتاهية في الأناضول.

(٣٤) يدَّعي بعض الكاتبين: «إنَّ سيدي خان هذا ولد سنة ٩٧٠هـ (١٥٧٢م) بعد مقتل عمِّه بايرام بك، ولا أظن هذا الإدعاء صحيحاً، ولعلَّه يعني: إنَّه تولَّى الحكم بعد مقتل عمِّه المذكور.

إياه من قبل، صدرت الأوامر إلى أميري أمراء بغداد وشهرزول - شهرزور وسائر أمراء كردستان وحكامها فحواها «إنَّه إذا تباطأ بايرام بك في تسليم مقاليد قلعة العماديَّة إلى سيدي خان بك فعليهم أن ينهضوا جميعاً لغزوه ويجلوه من القلعة المذكورة عنوة، ويضعوا مقاليد حكمها في كف سيدي خان بك». فلمَّا بلغ سيدي خان بك الموصل، وجد أنَّ بايرام بك قد أذعن للأمر السُّلطاني ونزل له عن القلعة وترك الولاية بكاملها. وهكذا دخل سيدي خان بك العماديَّة في ذي الحجَّة من سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة (١٥٨٥م) بمعونة خاله سليمان بك حاكم سوران - الصَّهران وأخذ يتولَّى مهمَّات الحكومة فيها كما أسلفنا ذلك.

أمّا بايرام بك فإنَّ فرهاد پاشا لمَّا رجع من گرجستان - جورجيا لم يكن منه إلاّ أن زجَّه في السِّجن في أرضروم وأوفد من يدعو سيدي خان بك إليه فيها. ثمَّ بعد أن تسلَّم منه مبلغاً جسيماً من المال كرشوة أحاله مع بايرام بك على المرافعة أمام مجلس الشَّرع الشَّريف. إذ كان يتَّهمه بقتل والده قباد بك فأثبته عليه، فسلَّم بايرام بك إليه على إثر ذلك ليقتصَّ منه فقتله ثأراً لأبيه في حدود عام أربع وتسعين وتسع مئة (١٥٨٦م). هذا ولايزال المترجم سيدي خان منذ إحدى عشرة سنة يتقلَّد زمام الحكم في العماديَّة بالاستقلال التَّام دون أن ينازعه عليها أحد أو ينافسه في إدارة شؤونه منافس. هذا ومع أنَّ عشيرة مزوري - ميسوري قد ثارت في وجهه أياماً وشقَّت عصا الطَّاعة عليه، إلاّ أنَّه تمكَّن أخيراً من إخضاعهم بقتل بعضهم واستعطاف قلوب الآخرين، والحقُّ يقال: «إنَّه شاب فطن نبيه وكريم شجاع، إمتنَّ له أفراد الشَّعب والجيش، ورضي عنه المواطنون، وشكروا له حسن خلق [٣٥] (وفَّقه اللّه لأعمال الخير[٣٦]).

---

(٣٥) يقول الكاتب المذكور « إنَّه حكم إمارة العمادية زهاء خمس وأربعين سنة، وكانت الإمارة في عصره في أزهى مجدها الزَّاهر، وكانت وفاته سنة ١٠٣٩هـ (١٦٢٩م).

(٣٦) هنا انتهى عهد المؤلِّف. ولكنَّ السيد محمد أمين زكي واصل هذه الأبحاث في كتابه (تأريخ الدُّول والإمارات الكردية -٢/٣٩٤-٣٩٩) و قال «والظَّاهر أنَّ الَّذي تولَّى الحكم في بلاد العمادية بعد سيدي خان هو يوسف خان الَّذي هاجمه ملك أحمد پاشا والي ديار بكر في عام ١٠٤٨هـ (١٦٢٨م) فتمكَّن من أسره وزجِّه في سجون ديار بكر حيث بقي بها حتى أطلق بعد دفع إتاوة كبيرة، وانتقلت الامارة بعده إلى ابنه الَّذي علا في عهده شأن الإمارة. وازداد نفوذها

حتى بلغ عدد جنودها في عام ١٠٧١هـ (١٦٦٠) زهاء عشرة آلاف فارس ومثلها من المشاة. وكان في عام ١١١٢هـ(١٧٠١م) يتولّى إمارة العمادية قباد پاشا الّذي رافق جيشي الموصل وديار بكر إلى جنوبي العراق لإخماد ثورة شيوخ المنتفق. ثم تولاّها في سنة ١١٣٨هـ (١٧٢٦م) بارام پاشا الكبير – وهو إبن زبير پاشا بن قباد پاشا بن الأمير سعيد خان بن سلطان حسين – وقد ولد سنة ١١٠٧هـ (١٦٩٩م)، وتولّى الإمارة سنة ١١٣٨هـ (١٧٢٦م) وتقدَّمت البلاد على عهده تقدُّماً مرضياً، وبعد أن توفّي سنة ١١٨١هـ (١٧٦٧م) تولاّها بعده إبنه إسماعيل پاشا الّذي حكم الإمارة فترة طويلة، وحدثت له مع إخوته شتىً الإضطرابات الّتي لامجال لذكرها هنا. وبعد أن أدركته الوفاة سنة ١٢١٣هـ(١٧٩٦م) خلفه ابنه مراد خان بك، لكنَّه اشتبك مع أخويه محمد طيار بك قباد بك الّذي كان حاكم زاخو عام ١٢١٤هـ (١٧٩٩م) = فأصلح بينهما والي الموصل. وفي سنة ١٢١٥هـ(١٨٠٠م) سارت قوَّة عسكرية إلى العمادية فأسفرت المعارك عن احتفاظ علي مراد خان بإمارته في العمادية وإناطة قلعة عقرة بالأمير قباد بك الّذي تمكَّن أخيراً من الاستيلاء على إمارة العمادية سنة١٢١٨هـ(١٨٠٣م).وفي سنة ١٢١٩هـ(١٨٠٤م) أغارت عشيرة مزوري على قباد پاشا فأسرته وألقته في السِّجن. وفي سنة ١٢٢٠هـ(١٨٠٥م) أرسل علي پاشا والي بغداد قوَّة هائلة بقيادة أمراء بابان وسوران إلى العمادية، ولكنَّ الجيش أُختلف في الطريق فخول علي پاشا والي بغداد محمد پاشا الجليلي والي الموصل إناطة إمارة العمادية بمن يراه، فأنعم بها علي عادل پاشا وخلع عليه الخلع. وبعد وفاة عادل پاشا سنة ١٢٢٣هـ(١٨٠٨م) خلفه أخوه زبير پاشا الّذي اشتبك مع والي الموصل مدَّة من الزَّمن. ولما أغار محمد پاشا الأعور – دپاشاي كويره – أمير سوران على العمادية كان يحكمها آنئذ سعيد داشا. وبعد انقضاء عهد محمد پاشا ظهر على مسرح الحكم إسماعيل پاشا حاكم عقرة السابق مرَّة أخرى. غير أنَّه ضايق متصرِّف الموصل إينجه بيرقدار محمد پاشا. فداهمه محمد رشيد پاشا الصَّدر الأعظم بجيش عرمرم وحاصره في العمادية وتمكنَّ من إلقاء القبض عليه وإرساله إلى بغداد حيث أُلقي في غياهب السِّجن، وبقي بها حتى وفاته عام ١٢٥٩هـ(١٨٣٤م). ويقال «إنَّه بقي مبعداً في بغداد مدَّة من الزَّمن تحت رقابة علي رضا پاشا الوالي الّذي عيَّنه أخيراً متصرِّفاً للواء كربلاء، ثمَّ عزل ورجع إلى بغداد وبنى بها مدرسة عظيمة في جامع الشَّيخ عمر السَّهروردي. وكانت وفاته سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧١م). وهكذا أسدل السّتار على هذه الإمارة الوطنية أيضاً. هذا وجاء في تأريخ الموصل« إنَّ أحد الأدباء ألَّف تأريخاً خاصاً بإمارة العمادية، توجد نسخة منه في قرية زيراوا التَّابعة لقضاء العمادية.

الفصل الرابع

في ذكر حكام الجزيرة
وهو في ثلاث شعب

لقد جاء في أقوال الثّقات المبهجة للقلب، وفي مسوَّدات الرِّواة المنيرة للعقل ما صحَّ من أنَّ: سلسلة نسب حكام الجزيرة تنتهي بالصَّحابي البطل خالد بن الوليد[1]، وإن أوَّل شخص تولَّى من أجدادهم حكومة الجزيرة كان يدعى سليمان بن خالد. وقد كان هؤلاء ينتحلون في بدء عهدهم النَّحلة (اليزيدية - الإيزيدية - اليزدانية)، ثمَّ اهتدوا بنور الإسلام فرجعوا عن غيِّهم، وتركوا تلك البدعة القبيحة، واتَّبعوا الدِّين الحنيف، وسلكوا مسلك أهل السُّنة والجماعة، فشيَّدوا المساجد والمدارس والمعاهد الدِّينيَّة، وجادوا بوقف القرى الجميلة والمزارع الزَّاهرة، والبساتين النَّضرة عليها.

لقد اشتهرت عشائر (بختي - بختان - بوتان - بوطان) في أنحاء كردستان بالبطولة والشَّجاعة، وحبِّ التَّضحية بالنَّفس والنَّفيس في سبيل العز، كما امتازت بمهارتها في النِّظم العسكريَّة وفنون الفروسَّية، وتقتني هذه العشيرة من معدَّات القتال والأسلحة الحربيَّة و الخيول الجياد والسِّيوف الصَّوارم المصريَّة والخناجر البواتر الدِّمشقيِّة، فيزهدون في ابتياع أجود أنواعها، ولو بأغلى ثمن، ويتباهون بذلك

---

(١) إنَّ هذا الادعاء باطل، ولم ينشأ إلا من ولع الأكراد بالبطولة وإعجابهم ببسالة خالد لأنه لم يقتحم كردستان، بل رجع من العراق إلى الشَّام. وقد انقرض نسله حتى ورث الأملاك الَّتي خلَّفها في المدينة أيوب بن سلمة بن عبدالله. فقد جاء في الص١٠٤ج٢ من كتاب «أسد الغابة لمعرفة الصحابة أنَّه لم يبق من ذرية خالد بن الوليد أحد، فقد قضى الطاعون على أكثر من أربعين من ذريته..الخ وجاء في الص٣٥٦ ج٢ من نهاية الأدب: «إنَّ من انتمى إلى خالد بن الوليد فهو مبطل: وكل من ادَّعى الانتماء إليه، فقد كذب، فلم يبق من نسله أحد شرقاً ولا غرباً». هذا والَّذي يظهر لي هو أنَّ هذه العشيرة من بقايا شعب خالدي - هالدي = كالدي التأريخي إحدى عناصر الأمة الكردية المعروفة في التأريخ القديم. يدلُّ على ذلك بقاؤهم على الدّيانة اليزيدية - اليزدانية إلى عهد متأخرٍّ. ومن المحتمل أن يكون خالد هذا أحد أمراء هذه العشيرة السَّابقين.

بينهم. وحين تندلع نار حرب ما بينهم و بين عدوٍّ لهم، ينهضون للوقوف قبالته وصدِّ عاديته بوئام تام وكلُّهم حزم وثبات، فيعدُّون في هذه الصِّفات الشَّريفة من طلائع أقرانهم، ويفوقون جميع سكَّان كردستان.

ومدينة الجزيرة من المدن القديمة، وقد فُتحَت صلحاً في السَّنة السَّابعة عشرة من الهجرة (٦٣٩م) أيّام خلافة عمر بن الخطَّاب رضي اللّه عنه بجهود بذلها كل من القائدين أبي موسى الأشعري[٢] وسعد عياض بن عثمان[٣]؟ حيث خضع أهلها للجزية، عدا قبيلة بني تغلب العربيَّة الرَّحالة، الضاربة في أنحاء الجزيرة، فإنَّها أبت الانقياد للجزية، وفضَّلت الهجرة والالتحاق بحكومة الرُّوم[٤] في بدء الأمر. ثمَّ أخذت تراسل القائدين في شأن الجزية الَّتي تُؤخذ عنها قائلة «إذا كانت الإتاوة الَّتي تؤخذ عنها تعدُّ صدقة، فإنَّنا لانمتنع عن أدائها». فلمّا بلغ عمر رضي اللّه عنه ذلك،قال: «الصَّدقة نوع من الإتاوة». فقبلت بنو تغلب أداءها، ورجعت إلى موطنها. أمّا قلعة الجزيرة المحصَّنة فقد أقامها عمر بن عبد العزيز[٥] ثامن الخلفاء الأمويَّة (الَّذي كان في عدله ونصفته يعدُّ في الدرجة الثانية من بعد عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه جدُّه من أمِّه. وهو الَّذي منع العادة القبيحة الَّتي أمر بها الأمويُّون من لعن الإمام علي رضي اللّه عنه وكرَّم وجهه، والطَّعن في ولديه الإمامين الحسن والحسين رضي اللّه عنهما على المنابر وفي المساجد بعد أن دامت تلك الفضيعة زهاء مئة سنة، وأنقذ النَّاس من تلك الوبال).

وتقع قلعة الجزيرة، هي والمدينة، على شاطئ النَّهر المسمَّى بشطِّ العرب[٦]،

---

(٢) هو عبدالله بن قيس بن سليم استعمله النبي صلّى الله عليه وسلم على زبيد وعدن وساحل اليمن واستعمله عمر رضي الله عنه على الكوفة. توفِّي سنة ٤٤هـ(٦٦٦م) وله نيِّف وستون سنة من العمر.

(٣) سعد عياض بن عثمان هكذا في النُّسخ الَّتي بأيدينا والَّذي في التواريخ العربية هو: عياض بن غنم. بناء عليه ينبغي أن تكون العبارة وبـ(سعى عياَض بن غنم). [فرج الله زكي الكردي] عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد من الصَّحب الكرام والمجاهدين الغزاة العظام أسلم في غزوة الحديبية وتوفِّي سنة ٢٠هجرية(٦٤٢م) عن عمر يناهز الستين.

(٤) يعني بها حكومة الرُّومان الشَّرقية الَّتي كانت حاضرتها مدينة القسطنطينية «إستانبول».

(٥) راجع تعليقنا السَّابق(ص ١٩٤).

(٦) لعلَّ في هذه العبارة نقصاً تمامها(على شاطيء أحد روافد شطِّ العرب) فإنَّ بلدة الجزيرة – كما

اللوحة الخامسة
مدينة الجزيرة وقلعتها (وتقع قلعة الجزيرة هي والمدينة على شاطيء النهر)

بحيث إذا فاض الماء وطغى على الجوانب، تشطر النهر شطرين، يحيطان بالقلعة والمدينة من جميع الجوانب ثمَّ ينسابان. وقد شيَّد أمام الماء سدٌّ عظيم من الصُّخور الضّخمة والنَّورة تشييداً محكماً يحول دون إضرار الماء بالعمارات والأبنية. ويعبر السُّكان الماء من على الجسور، ولهذا سمِّيت بالجزيرة العمريَّة.

للجزيرة معاقل وقلاع محصنة،ولها نواحٍ مزدهرة ترتبط بها، نذكر منها أسماء أربعةعشر قلعة وناحية، لئلا يسبِّب الإسهاب مَلَل أرباب الفضائل وأولى الألباب:

١- ناحية (گورگيل - جوردقيل) وهي جبل الجودي[٧]...[٨] الَّذي يقال: إنَّ سفينة نبي اللّه نوح عليه السَّلام رست عليه. والعشائر القاطنة فيها سبع قبائل: أربع منها حسينيون[٩]، وهم شهريوري، وشهريلي وگورگيل وأستوري. وثلاثة منها يزيديون، وهم: (نيويد كاون) و(شورش) و(هيودل).

٢- قلعة (بركة) وناحيتها وقد اشتهرتا باسم العشيرة القاطنة بها والقائمة بشؤونها.

٣- ناحية (أروخ) وقلعتها الخاضعة لتصرُّف قبيلة أروخ القاطنة بها، وهي من أمنع قلاع كردستان.

٤- ناحية (پروز)[١٠] وقلعتها الخاضعة لعشيرة (پروز) المؤلَّفة من تحالف ثلاث قبائل: جاستولان وبزم وكرافان.

٥- قلعة (بادان) وناحيتها الخاضعة لأمير عشيرة كارسي.

هو معلوم - تقع على الشَّاطيء الغربي من نهر دجلة، ودجلة لا تسمَّى شط العرب وإنَّما يطلق هذا الاسم على النَّهر الكبير المؤلَّف من تلاقي الفرات ودجلة في القرنة من أعمال البصرة.

(٧) اختلف المؤرِّخون في تعيين موقع جبل الجودي، فمنهم من يراه في الجزيرة ومنهم من يراه في لواء السُّليمانية ويعنون به جبل پيره مگرون بناء على الوصف الَّذي جاء في الكتب القديمة من أنَّه جبل مخروطي الشَّكل، حاد الرأس كسنان الرُّمح. أما كلمة جودي نفسها فقد قيل إنَّها ناشئة من گوتى المعربة إلى جوتى - جودي وهي نفس الاسم المعروفة به الأمة الكردية لدى السُّومريين.

(٨) النُّقط الموضوعة هنا جاءت طبقاً للأصل الفارسي وهي من العلامات الَّتي وضعها المستشرق الرُّوسي (ف. فليامينوف زرنوف) للدَّلالة على وجود نقص.

(٩) هذا العنوان من مبتكرات المؤلِّف نسبه إلى الحسين بن علي سبط الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام وقد جاء به ليقابل كلمة اليزيديين ظناً منه أنَّ اليزيدية نسبة إلى يزيد بن معاوية.

(١٠) الصَّواب (بَرْ روْژ) المقابل للشمس.

٦- ناحية طنزي وقلعتها كلهوك الخاضعتين لعشيرة كارسي.
٧- قلعة (فنيك) وناحيتها، وفيها أربع قبائل، نورد ذكرها في البحث عن أمراء فنيك.
٨- ناحية (طور).
٩- ناحية (هيتم)وأكثر رعاياها وسكّانها من الأرمن والنَّصارى. وهي ناحية غنية تجبي منها معظم واردات حكام الجزيرة. والعشيرة الكردية القاطنة بها هي عشيرة جلكي.
١٠- ناحية (شاخ) وقلعتها، وهو المحلُّ الوحيد المعروف بجودة رمَّانها في ولاية الجزيرة. وسكّانها أيضاً من الأرمن والنَّصارى، وبها تقيم عشيرة شيلدي.
١١- قلعة (نش أتل).
١٢- قلعة (أرمشاط) الخاضعة لتصرُّف قبيلة براسي (برازي) الَّتي هي من أهم فرق عشائر (بختي- بوتان)، وأشدَّها بأساً وأكثرها عدداً وعدَّة.
١٣- قلعة (گيور) الَّتي تسمَّى (قميز) أيضاً. وهي خاضعة لعشيرتي كارسي وقرشي.
١٤- قلعة (ديردة) من أعمال ناحية طنزي الَّتي بعض سكَّانها من الأعراب، من قبائل طهيري وصفان وبني عبادة. ومعظم الأرمن المستوطنين فيها يتكلمون اللغة العربية أيضاً. أمّا العشائر والقبائل المقيمة فيها، فهي: دنبلي، ونوكي، ومحمودي، وشيخ بزني، ورشكي، ومخ نهران، وپيكان، وبلان، وبلاستوران، وشيروان، ودوتوران. هذا وأصحُّ الأقوال هو أن عشيرتي دنبلي ومحمودي ينتميان في الأصل إلى ولاية الجزيرة غير أنهَّما بارحاها كما سيأتي ذكرهما بتفصيله في(الصحيفة الثالثة). على ما قرَّرنا ذلك في المقدّمة (بعون اللّه الملك المعبود).

وهذا أوان الشُّروع في تراجم حكام الجزيرة بتوفيق واهب الخير والجود.

١- سليمان بن خالد

ذكرنا سابقاً أنَّ أول من تولّى الحكم في الجزيرة من أجداد حكامها، هو الرَّجل المسمّى سليمان بن خالد وهو بعد أن قضى في تلك الدِّيار ردحاً من الزَّمن متمتعاً

بالحكم، أدركه الأجل المحتوم، فرحل به من جزيرة الفناء إلى مملكة البقاء، معقِّباً ثلاثة بنين هم: الأمير حاجي بدر والأمير عبدالعزيز والأمير أبدال. بيد أنهَّ لّماكان أرشدهم كفاية واستعداداً هو الأمير عبدالعزيز الَّذي بذَّ أخوته، فقد خطف بينهم كرة السِّباق على الحكم بصولجان العدل والسخاء وأخذ يتدرَّج في التَّرقي يوماً فيومًا، تتلألأ علائم الشهامة في جبينه، ويلتمع نور الجدِّ في جباه آماله.

E

«بالاى ســـــرش ز هوشـمندى ميـتـافت سـتـاره‌ء بلندي»

(كان يلمع فوق رأسه من النَّباهة، نجم الحظِّ والتِّسامي)

وهكذا خلّف عـبدالعزيز أباه في تقلُّد زمام حكم الجزيرة، وأخذ ينيط ناحيـة (گورگـيل - جوردقـيل) بأخيـه الأميـر الحاج بدر، وناحيـة فـينك بأخيـه الأميـر أبدال[١١]. وهكذا تولّى الأخوة الثلاثة حفظ الولاية وحمايتها وإدارة شؤونها وصيانة الأمن فيها باتِّفاق تام، فبثُّوا العدل، ونشروا لواء الرَّحمة، وتطاوعوا فيما بينهم.

الشعبة الأولى:

في شأن حكَّام (الجزيرة) المعروفين بالأسرة العزيزيَّة «عزيزان»

١- الأمير عبدالعزيز

لّما مضت على تقلُّده زمام الحكم أيام، جذب هادم اللذات يد تصرفه عن الوصول إلى جيب مملكته، وأزاح قدم تغلبه عن طيَّ حدائق الدنيا الفانية، بالمنون معقَّباً ولدين هما: الأمير سيف الدِّين، والأمير مجد الدِّين. فخلفه في الحكم ابنه الأمير سيف الدِّين الذي كان أكبر الأخوين سناً.

٢- الأمير سيف الدِّين

لّما قبض على زمام حكومة الجزيرة بيد من حديد، سار على الخطَّة الَّتي نهجها

(١١) وهكذا نشأت الأسر الثَّلاث: العزيزية والبدرية والأبدالية.

والده، فكرَّس جهده للنُّهوض بشعبه وتقوية جيشه، ومراعاة الجميع حتى جعلهم راضين عنه وممتنين للطفه. ولمّا انتهت أيام حياته، طوى قابض الأرواح كتاب عمره، فوضعه في كوَّة النِّسيان. وبعد وفاة هذا الأمير الحسن الإعتقاد ،جلس أخوه مجد الدِّين على كرسي الحكم مكانه.

٣- الأمير مجد الدِّين

لمّا تبوأَّ عرش الجزيرة بعد وفاة أخيه، نهض بالحكومة أحسن منه ومن أبيه، وتقدَّم بالشَّعب نحو الحضارة، وبالمملكة نحو العمران حتى جعلها مزدهرة. فقد تمتَّع بالحكم مدَّة من الزَّمن. وأخيراً مالت شمس حياته إلى أفق الزَّوال وانقلب صبح حظَّه ليلاً حالكاً بالوفاة مخلِّفاً إبنه الأمير عيسى.

٤- الأمير عيسى

قام مقام والده على كرسيِّ الحكم مطبَّقاً مضمون هذا المصرِّاع:

ÙdB Œ

«... ... ... بعدل كوش، كه عادل هميشه معتبراست»

(أبذل الجهد في إبداء العدالة، فإنَّ العادل لن يزال محترماً)

وفتح أبواب العدل والرَّحمة في وجه النَّاس، وعامل الشَّعب معاملة جميلة بحيث لم يتـألَّم منه طوال أيام حكمه فرد من الشَّعب. ولمَّا بارح الدُّنيا الفانية إلى عالم الخلود، خلفه في الحكم ثمرة فؤاده الأمير بدر الدِّين.

٥- الأمير بدر الدِّين

جلس على كرسي الحكم منصرفاً بجهوده نحو التَّقدُّم بشعبه على أكمل وجه، فأزال بسيفه اللامع غبار المظالم والفوضى من قلوب السكَّان كافة، وفتح باب الخير والإحسان للشَّعب. وقد كان تقياً يرغب في التَّلاقي بأصحاب الكشف والكرامات ويحتفي بهم، غير أنَّ المنيَّة أنشبت فيه أظفارها أيضاً، وحلَّ محلَّه إبنه الأمير ابدال.

٦- الأمير أبدال

تبّوأ الأمير أبدال كرسي الحكم مكان أبيه، ونهج نهج سلفه في بثِّ العدل والعناية بالشَّعب إلى أن جاءه الأجل، وأنتقل إلى جنة الخلد، مخلفاً ابنه الأمير عزالدِّين.

٧- الأمير عزالدَّين

قام مقام أبيه في تولِّي إمارة مملكته ورئاسة العشائر والقبائل، فطلع على عهده بدر لواءالأمير تيمور گورگان الّذي أضاء المعمورة! فقد جاء في كتاب (ظفرنامه) التأريخي لمولانا شرف الدِّين علي يزدي: «أن الأمير تيمور بعد أن انتهى من فتح بغداد في سنة ست وتسعين وسبع مئة (١٣٩٢م) ومن تدمير قلعة تكريت وإخضاع بقيَّة القلاع والبلدان في تلك الرُّبوع، اتَّجه نحو ماردين وتوغَّل في أراضيها حتى وصل (چمليگ) الواقعة على بعد سبعة فراسخ منها، فلم يكن من الأمير عزالدِّين حاكم الجزيرة إلاّ أن قصد الأمير الفاتح، فحظي بزيارته، وقدم إليه الهدايا، حتى فاز بعطفه الشَّامل. وبعد أن وعد بأداء مافرض عليه من الأقوات والذَّخائر، عاد أدراجه إلى ولايته. بيدأنَّه اتَّفق أن صدرت من سلطان عيسى حاكم ماردين بحق أصحاب الأمير تيمور أمور غير مرضية لايليق بالمقام ذكرها، فأزمع الأمير تيمور أن يغير عليه. ولكنَّه لَمَّا رأى أنَّ جيشه العظيم يعاني قلَّة المؤونة، إذا ضرب عليها الحصار، أرجأ غزوها إلى حين آخر، وبارح تلك المنطقة يوم الثّلاثاء الثامن من شهر ربيع الآخر للسنَّة المذكورة،إلى الموصل حيث أخذ يراسل منها أهل بيته في سلطانية، ويتحف أولاده الأمراء والأميرات بالهدايا الثّمينة.

وفي هذه الآونة أخذ الرَّجل الكردي المدعو شيخ من عشيرة (بختي - بوتان) [الَّذي جاء بصحبة الأمير عزالدِّين، وحظي في چمليگ بزيارة الأمير، وظَّل إلى ذلك الوقت في المعسكر التيموري] يستأذن في الانصراف، ويصطحب الوفد الذَّاهب بالتُّحف والهدايا في طريقه. وفيما بلغ أنحاء الجزيرة، خانه ضميره فأقدم على سلب الوفد المذكور، ونزع منهم ما حملوه من التّحف والهدايا وذهب بها إلى الجزيرة، فألجأه الأمير عزالدِّين الحاكم عليها، ونقض العهد الَّذي عقده، واتَّفق مع هذا التَّعس المنكود الحظ. فلمَّا بلغ هذا النَّبأ الأمير تيمور خان أوفد إلى الأمير عزالدِّين مرَّتين

من يبلّغونه: أن«اقبض على الرَّجل (شيخ) المعتدي، وابعث به إلينا، لنغضَّ الطَّرف عنك، وإن لم تفعل فستضحي جميع القلاع والنَّواحي والعشائر والقبائل الخاضعة لك عرضة للفناء! بيد أنَّ الأمير عزالدِّين أبى الانصياع إليه أعتماداً على حصانة القلعة وغزارة ماء النَّهر، ولم يعره أذناً صاغية. فتمخَّض ذلك عن ترك الأمير تيمور الأثقال والتَّجهيزات وإغارته بجيوشه الجسيمة عليه يوم الاثنين الثالث عشر من جمادى الأولى من السنَّة المذكورة، مجتازاً بكامل جيوشه دجلة مباغتاً إياه بهجوم مبيَّت مع حلول وقت الفجر. فأحاط بلدة الجزيرة بقوّاته واحتلّ القلعة والبلدة في ساعته واستباح الولاية وسكَّانها للنَّهب والسَّلب والغنيمة، حتى إنَّ الامير عزالدِّين نفسه وقع أسيراً في يد جندي لم يَشخِّصه فأطلقه بعد تعذيبه ونزع ما عليه من الثَّياب برمق من الحياة».

ويحدثنا سكان الجزيرة عن هذه الحادثة بشكل آخر هو:أنَّ الأمير تيمور خان احتفى بادئ زي بدء بالأمير عزالدِّين وأعزَّه ولعب معه الشَّطرنج ورضى عن أدبه وخلقه لذلك كلَّفه السفر معه إلى الشَّام[١٢] غير أنَّ الأمير عزالدِّين لمّا كان يتقاضى كل عام من سلاطين الشَّام[١٣] مبلغاً جسيماً من المال وكان يراعي معهم حسن الجوار، امتنع عن السير معه لغزو البلاد العربيَّة فيحقد عليه الأمير تيمور فأمر بالإغارة على الجزيرة و تدميرها. ولمّا لم يتمكَّن الأمير عزالدِّين من المقاومة توارى بين أظهر عشيرة أروخي حيث قضى بقيّة أيّامه في تعاسة وشقاء حتى أدركه الأجل[١٤].

٨- الأمير أبداك بن الأمير عزالديَّن

لمّا توفيَّ أبوه إعتلى بعده عرش حكومة الجزيرة وتولىّ رئاسة العشائر والقبائل فيها وأدار شؤونهم بأنتظام، بيد أنَّه لم يلبث طويلاً حتى وافاه الأجل المحتوم.

---

(١٢) كان اتجَّاه الأميرتيمور نحو سورية = الشَّام في سنة ٨٠٣هـ(١٤٠٠م).

(١٣) كانت سورية آنئذ خاضعة لسلطان (الملك الظَّاهر فرج الدِّين برقوق)من الملوك الشراكسة في مصر.

(١٤) قال السيد محمد أمين زكي بك «كانت هذه الإغارة للقضاء على الثَّورة الَّتي اندلعت نارها ضدَّ ما قام به جلال الدِّين ميران شاه بن تيمور من المظالم وسفك الدِّماء والقيام بالأعمال الوحشية البربرية

٩- الأمير إبراهيم بن الأمير أبداك

لمّا انتقل أبوه من دار الفناء إلى دار البقاء تبوأ بكفايته عرش حكومة الجزيرة مكانه. غير أنّ أيام حكمه لم تمتد زمناً يذكر حتى وافته المنون وخلّف ثلاثة بنين وهم: الأمير شرف والأمير بدر وكاك محمد.

١٠- الأمير شرف

حلَّ محلَّ والده في الحكم غير أنّ الأجل لم يمهله طويلاً فوافته المنيَّة.

١١- الأميربدر

لمّا توفِّي أخوه تولّي لحكم مكانه وأدار شؤون الدَّولة أمداً طويلاً، توفِّي بعدها معقِّباً ثلاثة بنين هم: الأمير شرف والأمير محمد وشاه علي بك.

١٢- كاك محمد بن الأمير إبراهيم

بعد أن توفِّي أخوه تسلم كرسي الحكم في الجزيرة فظهر على عهده حسن بك الطَّويل[١٥] الآق قويونلوالَّذي أغار على تلك البلاد وأحل الدَّمار والخراب في أنحاء تلك الولاية وقتل كثيراً من وجهاء عشيرة بختي- بوتان وأعيانها ووقع كاك محمد نفسه مع ابني أخويه الأمير محمد وشاه علي بك في الأسر فأخذوا جميعاً إلى العراق وهكذا أدانت تلك البلاد بأسرها لتصرُّف حكومة الآق قويونلية التُّركمانيَّة[١٦] فأناطتها برجل يدعى چلبي بك ولايزال حفدته معروفين بين قبائل التُّركمان باسم (چلبي لو) وقام بتولِّي شؤونها وضبط أمورها وحمايتها على شكل لا مثيل له أمداً طويلاً إلى أن نهض الأمير شرف بن الأمير بدر بانتزاعها من الدَّولة الآق قويونلية قهراً.

١٣- الأمير شرف بن الأمير بدر

لمّا وقع كلُّ من عمِّه كاك محمد وأخويه الأمير محمد وشاه علي بك في أسر حكومة الآق قويونليّة كان الأمير شرف هذا قد لاذ بالفرار وقبع في زاوية من بلاده

---

(١٥) ٨٧١ - ٨٨٣ هـ (١٤٦٦ - ١٤٧٨م).

(١٦) كان ذلك سنة ٨٧٥هـ (١٤٧٠م).

يقضي فيها وقته متكتِّماً متنكِّراً حتى إذا غابت شمس دولة الآق قويونلية وادلهمَّ نهار حظهم بانهيار حكومتهم وتزعزع أركانها كما قيل:

«تا نميرد يكى بناكامى ديگرى شادكام ننشيند»
(مالم يمت شخص تعيسٌ حظُّه ما فاز آخرُ بالتمتُّع بالنِّعم)

عندئذ أخذت آثار السَّعادة تلوح على جبين الأمير شرف يوماً فيوماً ويرتفع نجم حظِّه المتلألىء من البرج فحشد حول رايته جمعاً من شجعان عشيرته بختى = بوتان المتخلصين من السيف ورغب في استرداد حكومة الجزيرة الوراثية فتمكّن [بعد أن قبع في زوايا اليأس والحرمان نحو ثلاثين سنة وهو يتربَّص الفرص] من تسلِّم الحكم فيها وإدارة شؤونها بالاستقلال التَّام، وفي هذه الآونة خرج عمُّه كاك محمد وأخواه شاه علي بك والأمير محمد من أسر التُّركمان الآق قويونلية والتحقوا به أيضاً.

ولمّا ظهر الشَّاه إسماعيل الصفوي الذي انتزع ولايتي العراقين العربي والعجمي وولاية آذربيجان من الطوائف التُّركمانية وتولّى السلطنة المستقلَّة، توسع في بسط نفوذه حتى احتلَّ ولايات دياربكر والموصل وسنجار وأزمع أن يغزو الجزيرة وسير لاحتلالها الجيوش، لم يكن من الأمير شرف خان إلاّ أن نهض في وجه القوات القزلباشيَّة وصدَّ زحفها فنشبت بين الفريقين معارك عنيفة انتصر في جميعها الأمير شرف حتى إنَّه كبد القزلباش في إحدى المعارك خسائر كبيرة في الأرواح، إذ قتل منهم زهاء ألف وسبع مئة نسمة كما أسر فريقاً كبيراً وكذلك سلبهم كثيراً من الأثقال والمعدَّات، بيد أنَّ الشَّاه إسماعيل لم تنثن عزيمته بل جهزَّ للمرة الثانية جيشاً كبيراً سيّره بقيادة كل من خان محمد أوستاجلو الَّذي كان أمير أمراء دياربكر وأخيه قره خان لاحتلال الجزيرة وغزو الأمير شرف. ولكن هذا الجيش لم يكن بأسعد حظاً من سلفه فقد خابت محاولته ورجع أدراجه مخفقاً. ثمَّ إنَّه سَّير للمّرة الثّالثة من همدان يكان بك تكلوي رئيس الحرس الشَّاهي القوروجيِّين مع جمع من القوروجيِّين المعروفين بالبسالة والجنود الأبطال لغزو الأمير شرف وانتزاع ولاية الجزيرة منه. لكنَّ الأمير شرف توسَّل بالعناية الإلهية معتبراً بآية: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة

بإذن الله» فجمع عدداً من الأبطال المجازفين الذَّين هم كالليوث و وقف بهم قبالة يكان بك وتمكَّن بعد معارك دامية وكرٍّ وفر من الغلبة عليه ومن إجلائه عن الجزيرة فلم تجرؤ جيوش القزلباش بعد ذلك اليوم من الاتِّجاه إلى الجزيرة[١٧]. وبعد هذه الحوادث بمدَّة مديدة شدَّ الأمير شرف رحل الوجود يغادر به الدّنيا الفانية إلى دار الخلود.

١٤ - شاه علي بك بن بدر بك

لمّا توفِّي أخوه الأمير شرف تقلَّد زمام الحكم على الجزيرة مكانه بإجماع الرأي من عشائر بختي - بوتان وأعيانها فناط فنيك ونواحيها بأخيه الأمير محمد.ثمَّ لمَّا أخذ أمراء كردستان وحكامها يعرضون ولاءهم على الشَّاه إسماعيل الصَّفوي ويقصدونه في أنحاء خوي وتبريز انخدع صاحب التَّرجمة أيضاً وأزمع على زيارته ناسياً تلك الكوارث الَّتي أحلَّتها عشائر بختي- بوتان بجيوش القزلباش وسار مع اثني عشر نفراً من أمراء كردستان وحكامها لزيارته. وما إن رآه الشاه إسماعيل حتى تذكَّر الدّماء المراقة والكوارث الَّتي حلَّت بجيوشه فلم يستطع كظم غيظه فأمر فوراً بإيداعه السِّجن مع الأمراء والحكام الَّذين جاؤوا برفقته[١٨]. وبعد أن مضت مدَّة من الزَّمن وتمكَّن كل واحد من الأمراء والحكام من التَّخلُّص من السِّجن بوسيلة ما، تخلَّص شاه علي بك من السِّجن أيضاً وعاد إلى الجزيرة[١٩] وكان يدير شؤون الحكومة فيها خلال هذه المدَّة أحد نوَّاب الشَّاه إسماعيل المدعو أولاش بك أخو خان محمد أوستاجلو الَّذي كان أمير أمراء دياربكر. وما إن وصل إلى ولايته حتى نشبت بينه وبين أولاش معركة أسفرت عن هزيمة الأخير وتخلِّيه عن الحكم. وهكذا دخلت الجزيرة وقلاعها وجميع ربوعها في تصرّف شاه علي بك مَّرة أخرى. ثمَّ بعد ماتمٍّ الأمر بادر إلي إبرام الصَّداقة مع الأمير شرف حاكم بدليس وعرضا بالاتفاق

---

(١٧) كانت هذه السَّفرات في أعوام ٩٠٨ - ٩١٧هـ (١٥٠٣ - ١٥١١م).

(١٨) لعلَّ قيامهم بهذه الزِّيارة المشؤومة كان في سنة ٩١٧هـ(١٥١١م)، إذ مكثوا في السِّجن بعدها زهاء ثلاث سنوات، ثمَّ خرجوا بعد موقعة چالديران.

(١٩) كان خروجه بعد موقعة چالديران الفاصلة المشهور التي حدثت بين الدولتين الإيرانية والعثمانية سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤م) وأدّت بالنُّفوذ الايراني إلى أن يتضاءل، ويتقلَّص من كردستان.

طاعتهما على السلطان سليم خان[٢٠] وشوقاه إلى أن يسير الجيوش لاحتلال دياربكر وآذربيجان ومملكة الأرمن[٢١].

وأخيراً وافاه الأجل المحتوم بعد أن قضي في الحكم بضعة أعوام معقَّباً أربعة بنين هم: بدر بك وناصر بك وكاك محمد والأميرمحمد. تولّى الملك بعده بدر بك .أمّا أولاد ناصر بك وكاك محمد الَّذين تمكَّنوا من تولي الحكم في أنحاء الجزيرة فسنورد تراجمهم مفصَّلة. وأما الأمير محمد فقد أعقب ولداً أسماه سليمان بك وهو جلد نشط ولايزال في قيد الحياة.

١٥- بدر بك بن شاه علي بك

تسلَّم كرسيَّ الحكم بعد وفاة والده فعَّمر البلاد بعَدْله وبسط الأمن والأمان وتمتع بحكم بلاده بالاستقلال التَّام زهاء سبعين سنة. وقد قام على عهد سلطنة السُّلطان سليمان خان[٢٢] بما فوِّض اليه من الخدمات الجليلة وإمتثل جميع الأوامر والإشارات الصَّادرة إليه ورافقه في السَّفرات الَّتي قام بها للإغارة على مناطق وان وتبريز ولاحتلال بغداد وبقيَّة بلدان العراق العربي، بيد أنَّه بعثت مجابهته المقام السُّلطاني بأمرين خطيرين، كان قد ارتكبهما اعتماداً على ما قام به من الخدمات الجليلة، على أن يغتاظ منه كل من السُّلطان ووزيره رستم پاشا:

١- ارتكب الأول في الديوان الملكي العامر حين ذهاب أمراء كردستان وحكامها - بعد العودة من السَّفر إلى بلاد العجم - لتقبيل الأعتاب السُّلطانية، وهو أنَّه لما قُدِّمَ عليه سلطان حسين بك حاكم العمادية في الدخول على السُّلطان كان قد

(٢٠) هو السُّلطان سليم الأول ابن السُّلطان بايزيد الثَّاني. اعتلى عرش السُّلطة سنة ٩١٨هـ (١٥١٢م) بعد أن أجبر والده على التَّنازل عنه. وبقي سلطاناً حتى وفاته سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠). وقد كان رجلاً طمَّاحاً إلى المعالي جريئاً سفَّاكاً قاسي القلب. أدت قساوته إلى تلقيبه بلقب (ياوز) وتدرَّج في بسط نفوذه وتوسيع فتوحاته. وهو الَّذي وسَّط أيام موقعة چالديران الشَّهيرة الحكيم العلامة (مولانا إدريس البدليسي) بينه وبين أمراء الأكراد لأن يحالفوه ضد الشَّاه إسماعيل الصَّفوي وينضمُّوا إلى المملكة العثمانية إسمياً فأُبرمت الاتفاقية ونفذت.

(٢١) هي مملكة شاهات أرمن الَّتي أسسَّ فيها الأمير سقمان القطبي حكومته، وكانت حاضرتها مدينة خلاط.

(٢٢) هو السُّلطان سليمان القانوني بن السُّلطان سليم الأول. راجع ترجمة حياته في ص (٢٤٥).

أنكر ذلك ولم ينتظر الخطوة بتقبيل الأعتاب، بل خرج من الدِّيوان من غير استئذان من السُّلطان أو الوزير وغادر بغداد إلى الجزيرة .

٢- حين عاد زينل بك حاكم هكاري من الأستانة حاملاً معه عهد الحكومة الذي ناله بفضل توسّل رستم پاشا الوزير ورجع به إلى مملكته ووصل إلى أنحاء ولاية الجزيرة -كما قدّمنا ذلك- كان بدر بك قد سيَّر لفيفاً من رجال بختي - بوتان الشُّجعان ليعترضوا طريقه حتى قضوا على رفاقه وطعنوه نفسه طعنات كثيرة وجرى له ما ذكرناه مما بعث رستم پاشا على أن يضمر له الحقد ويترقب الفرصة للفتك به حتى إذا اعتلى كرسي رئاسة الوزرة للمرَّة الثَّانية، أخذ يحرِّض أخاه الأمير ناصر على المطالبة بحكومة الجزيرة، ويقصد لذلك الآستانة فلبّاه، وذهب إلى الآستانة، وتمكَّن بفضل رستم پاشا أن يعرض مظلمته على السُّلطان، فولّي حكومة الجزيرة وعاد أدراجه. وما سمع بدر بيك بذلك حتى قصد سنجار متنازلا له عن كرسي الحكم. ولبث عامين بعد ذلك، ثمَّ ذهب إلى الآستانة للمطالبة بحكومته المنتزعة منه، فأجيب إلى طلبه وأعيد إليه زمام حكومتها بعد أن فصلت عنها ناحيتا طور وهيتم، ولبث بها حاكماً طيلة حياته[٢٣] بحسب البراءة الصَّادرة.

كان بدر بك رجلاً كريماً ينفق على منتداه علانية، وفي الأوجه الخيريَّة سراً. فكان ما ينفقه سراً ينيف في كل يوم على خمس مئة درهم، وما ينفقه على نفسه وعلى طعامه اليومي يقارب مئة درهم. وقد كان ورعاً يوصي وكيله أن ينفق التَّبرعات السِّريَّة من الأموال المباحة، لا من الأموال الَّتي فيها شبهة حرام. وكان يبذل جهده في القيام بالأوامر الشَّرعية والواجبات الدِّينيَّة والعناية بالنُّظم الشَّرعية حقَّ العناية. وكان يحبُّ العلماء والصُّلحاء يراعيهم رعاية كاملة، وقد اجتمع على عهده في الجزيرة من الفضلاء والعلماء والعظام ما لم يجتمع في أيِّ عصر، من أمثال: مولانا محمد برقلعي ومولانا أبي بكر ومولانا حسن سورجي ومولانا زين الدِّين باباني - الَّذي كان من أعلم علماء عصره - ومولانا السَّيد علي وغيرهم من الَّذين استفاضت مؤلَّفاتهم فتداولتها أيدي العلماء.

(٢٣) ذكر السَّيد محمد أمين زكي بك في كتابه مشاهير الكرد وكردستان (١٣٥/٢) أنَّه لم يحكم بعد ذلك غير سنة واحدة.

ويروى أنَّه لَمَّا كان مولانا أبوبكر قد تألَّم من بدر بك في وقت ما، وقرَّر أن يغادر الجزيرة، وأدرك بدر بك ذلك، خفَّ إليه بنفسه مع وجهاء بلدته وأعيانها، فاستمال خاطره، وأفاض عليه من النِّعم، وقدَّم إليه الخلع والهدايا، وأعاده إلى محلِّه.

وبعدما توفِّي أخوه ناصر بك أضاف ناحيتي طور وهيتم - كما كان سابقاً - إلى مملكته الوراثيَّة مرَّة أخرى وقد عاش عمراً مديداً. ولَمَّا جاوز التِّسعين وقارب المئة[٢٤] سنة، خفَّ عقله وضؤلت نباهته، فكان يأتي أعمالا يأباها العقل، حتى إنَّه بلغ مسامعنا من الرُّواة الثُّقات أنَّ رجلاً رفع إليه ظلامة من قصّاب في المدينة لأنَّه أهانه فظن بدر بك أنَّه يتظلَّم من قصَّار في المدينة، فأمر في الفور بإحضار القصَّار ومعاقبته بالجلد فلمّا نال القصَّار العقوبة جاء يسأله: «ما ذنبي الَّذي جعلني استحقُّ هذه العقوبة؟» فأجابه بدر بك: «ذنبك، أنَّك أهنت فلاناً!» فقال له القصَّار: «أيُّها الأمير! إنَّ فلاناً إنَّما أهانه (قصّاب) أمّا أنا فقصّار!» فبادره قائلا: «القصَّاب والقصَّار واحد إذ بينهما الاشتراك اللفظي، وتلافي مثل هذا الخطأ سهل ميسور!».

ولما وافاه الأَجل المحتوم خلفه إبنه الأمير محمد.

١٦- الامير محمد بن بدر بك

كان على عهد والده يعنى بتنظيم الأملاك، وكان حريصاً على جمع الأموال وخزن الثَّروة. وقد روى أنَّه كان من الغنى بحيث يملك اثني عشر ألف نعجة ولود، يستفيد من محصولها السَّنوي الشَّيء الكثير، كما كان قد أودع لدى أناس مزارعين من الشَّعب مئة ألف سرب من الطُّيور الدَّواجن، يتسلَّم من كلِّ واحد منهم سنويّاً مقداراً مقرَّراً من البيض. والغرض من نقل هذه الرِّواية، هو أنَّه كان طويل الباع في جمع الغنى والثَّروة. ثمَّ لَمَّا توفِّي والده، تولّى الحكم على الجزيرة بالإستقلال التَّام. وبعد إن امتدَّت أيّام حكمه زهاء سبع سنين، واتَّفق أن سيَّر السُّلطان مراد خان[٢٥] وزيره لالا قره مصطفى پاشا لغزو بلاد گرجستان - جورجيا وشيراون عام ستة وثمانين وتسع مئة (١٥٧٨م) ذهب هو أيضاً بصحبة الجيش المنصور. فلمَّا توغَّل الجيش في گرجستان-جورجيا ونهض إليه كل من محمدي خان توقمق حفيد قازاق بن حمزه بن

(٢٤) جاء في مشاهير الكرد وكردستان:(١/ ١٣٥) إنَّه عاش خمساً وتسعين سنة.

(٢٥) هو مراد الثَّالث، تولَّى السُّلطنة ٩٨٢هـ (١٥٧٤م) لغاية ١٠٠٣هـ (١٥٩٤م).

اللوحة السادسة
ديوان امير

أوستاجلو، الَّذي كان أمير أمراء چقور سعد، وإمام قولي سلطان القاجاري أمير أُمراء قره باغ وگنجة -اليزابث پول واران- أريڤان يقودان جيشاً ينيف على عشرة آلاف نسمة من الجند، ليعترضاه في الطريق في المحلِّ المسمَّى چلدر[٢٦]. وصادف أن أنيط القيام بقيادة طليعة الجيش بدرويش پاشا أمير أُمراء ديار بكر- آمد، والتقى الفريقان بعد صلاة العصر وقرب غروب الشَّمس في چلدر المذكور، على سفح أحد الجبال، فعدَّ الأكراد الشُّجعان القوَّة المقابلة على كثرتها ضئيلة، وحملوا عليها بغرور غافلين من مكر الدُّهور وما يولِّده كرَّ السِّنين والشُّهور.

lE

«مبين گرچه شيرى عدورا حقير بينديش أزو، كو بود شير گير»
«مناز ز بهى أي ز خيل بهان كه باشد به أز به بسى در جهان»
«بسر پنهء آهنينت مناز كه آهنگرانند آهن گداز!»

[لا تعتبر عدُّوك حقيراً، ،إن كنت هصوراً، بل إخش بأسه، فربّما كان من قنَّاصي الأسود. لا تفتخر بمزاياك يا من تولَّدت من أصحاب المزايا، فربَّما كان في الدنيا ذو مزية أحسن... لا تتباه بساعدك الفولاذي، فإنَّ هناك حدَّادين يصهرون الفولاذ].

ولم يكن من الفريق القزلباشي إلاّ أن عني بالخديعة، فقدَّم من جيشه فريقا يتراوح عددهم من ألفين إلى ثلاثة آلاف نفر، وأخفي البسلاء المجازفين في مكامن الجبل. وفيما برز هذا الجمع القليل القزلباشي لمنازلة الجيش العثماني الجسيم، برز لهم الأكراد الأبطال، كالأسود الزّءارة، فشتَّتوا جمعهم المنتظم كعقد الثُّريا، وبدَّدوا شملهم، ونثروا عقدهم، حتى جعلوهم متفرِّقين كبنات نعش. وفي هذه الآونة برز لهم ستَّة آلاف فارس مغامر مجازف من مكامن الجبل كأنَّهم السّيل الجارف أو النار الملتهبة، فحملوا على الجند الأكراد واحتدمت المعركة بين الفريقين فعلت قرقعة السُّيوف حتى الأثير، وسالت دماء القتلى والجرحى حتى جعلت الأرض مخَّضبة كأنَّها الشَّفق الأحمر وانقلب نهار جميعهم ليلا مدلهمّا.

(٢٦) چلدر - چالديران: اسم لإحدى الهضاب في آذربيجان وقعت فيها قبلاً معمعة تأريخية أدَّت إلى سقوط تبريز وجميع المدن الآذربايجانية في يد الدَّولة العثمانية. فأدى هذا الانتصار إلى أن تعد ربوعها ولاية، ويطلق عليها اسم چلدر تخليداً لذكرها.

«صداى ســم وشيهه‌ء بــادى پــاى در آورد مـاهي ومــه را زجــاى»
«نمايان شد ازهر طـرف چـوب تيـر چو رگهاى غيرت بتن جاى گير»
«ز خونى كه تيرگ زد از فرق گـاه يــلان را برافــراخت پـر كـلاه»
«تَبَرْزين بخون يــلان گشتــه غــرق چــو تاج خـروسان جنگى بفرق»

(إنَّ قرقعـة الحوافر والأعـاصـير الثَّائرة من وقع الأقدام، أزعـجت حتى القـمر والسَّمك في مكانيـهـما... ولقد طلعت قذات السَّهم من كل جانب كـأنّها أعـصاب المتحـمِّسين المتوترة، ومن جرّاء الدِّمـاء المنسابة من مطاعن السِّهام في الهام، كان الأبطال ينزلقون من على رؤوسهم. وتضرَّجت الفؤوس، والطبرزينات بدمـاء البسلاء فأضحت كأنَّها تيجان الدُّيوك المحمرَّة في المهارشة).

وخلاصة القصَّة أنّ كلا من الأمـير محمد وزمـلائه صارو خان بيك حاكم منطقة حظو-حزو ودومان بك حاكم زرقي- والأمير محمد حاكم فنيك، منوا بالقتل في هذا الوطيس الحامي الَّذي أسفر عن اندحار الجيش القزلباشي، وخسر الطَّرفان ما يتراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف نسمة. ولَّما قتل الأمـير محمد كانت خزينتـه تحوي زهاء مـئتي ألف ديـنار ذهبي، هذا إلى جـانب مـا كـانت مـفـعـمـة به من المال والأمـتـعـة والمعدَّات الحربيَّة المرصَّعة، ولم يكن هناك من يرثه غير ابنه سلطان محمد الَّذي كان في الخامسة من عـمره وبناته الأربع، والجدير بالذكر هو أنَّه لم يكن في عـصره بين أمراء كردستان من يضاهيه في الثَّروة، ويملك مبلغاً مثل هذا.

١٧- سلطان محمد بن الأمير محمد

كـان سبط الأمـير محـمد بن الملك خليل حاكم حصن كيـفـا. توفِّي عنه والده وهو صغـيـر السِّن، فـسـمِّي بـاسم والده كـمـا هي العـادة الشـائعـة فـي مـثل هذه الحـالة في كردستان، إذ إنَّهم يسمُّون المولود بعد وفاة الأب بـاسمه تذكاراً لاسمه. ويحتمل أنَّهم سمَّوه بهذا الإسم المركَّب «سلطان، محـمد» ناظريـن إلى الجزء الأول، ذاهلين الجـزء الثَّاني {والعلم عند اللّه}.

ولمّا كانت أمه امرأة لبيبة، وورثت مبلغاً من المال من الوالد والولد[٢٧] تمكَّنت من استعطاف قلوب (وارثان[٢٨] الملك) ورؤساء عشائر (بختي - بوتان) بما أسبغت عليهم من النِّعم وأفاضت على الشَّعب والأهلين من المبرَّات والخيرات وقضت ردحاً من الزَّمن على هذا النَّمط، وقامت بتزويج بناتها من نجلي (خان أبدال) الأمير ناصر وشرف بك، وسلَّمت إليهما مقاليد شؤون تلك المناطق. فقاما بإدارة ولاية الجزيرة وصيانة الأمن فيها بحيث لا مزيد عليها. ثمَّ نهضت بأبنها، بعد أن شبَّ وترعرع فذهبت بها إلى الآستانة حيث قدَّمته إلى السُّلطان مراد خان وكانت قد أتحفت أركان الدَّولة وأعيانها بالهدايا الثَّمينة واستمالت عواطفهم فاستصدرت الإدارة السُّلطانية بمنح ابنه عهداً بتولِّي الإيالة والإنعام عليه بخلع فاخرة وأوسمة زاهية. ثمَّ استأذنت ورجعت بابنها إلى الجزيرة مسروراً.

ثمَّ لمّا مضت على تولِّيه زمام الحكم زهاء خمس سنوات توفِّيت والدته، فأدَّى موتها إلى أن يسري فيه الهمُّ فمرض زمنا طار بعده طائر روحه القدسي من عشِّه في قفص الجسد وحطَّ على شجرة (طوبى) في رياض الخلد. ذلك بتأريخ إحدى وتسعين وتسع مئة (١٥٨٣م). وجاء في بعض الرِّوايات: «إنَّ ورثة الملك من ذوي قرابته - الَّذين كانوا ينافسونه - وضعوا في طعامه سمَّاً أودى بحياته!» وبموته انقرضت ذريَّة بدر بك وانقطعت سلالته.

١٨- ناصر بك بن شاه علي بك

في أيّام سلطنة السُّلطان سليمان وعلى عهد وزارة رستم پاشا الوزير، كان الرَّجل المدعو درويش محمود گله چيري من المنادمين في المجلس السُّلطاني ومن المدبِّرين لأمور وزيره الحاكي آصف بن برخيا. وهو من أبناء عشيرة روزكي - روژكي ومن الَّذين تتلمذوا في الأدب على مولانا إدريس البدليسي. كان يتولّى على عهد إمارة شرف بك حاكم بدليس مهمَّة الإنشاء والمراسلات له. فلمَّا قتل شرف بك، قصد بلاد

(٢٧) كان النَّص الفارسي (أز پدر و پسر) بالعطف أي من الوالد والولد، ولكنَّه ظاهر الخطأ، صوابه (أز پدر پسر) بالإضافة أي من والد الولد.

(٢٨) وفي نسختين خطِّيتين: وارثان ملك = ورثة الملك والظَّاهر أنَّ هذا هو الصَّواب [محمد علي عوني].

الرُّوم - المملكة العثمانيَّة فعيّن مدرِّساً لكريمة السُّلطان سليمان خان[٢٩] عقيلة رستم باشا. وأخيراً أسند إليه منصب الوزارة والوكالة في حكومة شرف بك، وتدرَّج في التَّرقي حتى تقرَّب من السُّلطان، بحيث صار يراجعه أكثر حكام كردستان في حلِّ مشكلاتهم وترويج مهمَّاتهم. وبفضله وقف رستم پاشا على شؤون كردستان، ووقع ما وقع من التَّبدُّلات والتَّنقُّلات بين حكامها.

والغرض من تمهيد هذه المقدِّمة، هو أنَّنا كنَّا قد ألمعنا فيما سبق أنَّ رستم پاشا- الوزير الأعظم كان يحثُّ ناصر بك على الوقوف في وجه أخيه بدر بك، والنُّهوض للمطالبة بحكومة الجزيرة، وإنَّ ناصر بك لبَّاه، وقصد الآستانة بإشارة منه، حيث حصل بفضل منه على تولِّي حكومة الجزيرة. ثمَّ إنَّه لمّا تسلَّم عرش الحكومة فيها، ومضت على تقلُّده الحكم سنتان قصد بدر بك الإستانة حيث حصل على إيالة الجزيرة مرَّة أخرى، بعد أن فصلت عنها ناحيتا: طور وهيتم ونيطت الناحيتان به كسنجق. بيد أنَّ حكمه فيها لم يدم طويلاً، إذ أدركته الوفاة واسترجع بدر بك النَّاحيتين المذكورتين مضيفاً إياهما إلى إيالته على النَّمط السَّابق... هذا وكلُّ ما ذكرناه من التَّبدُّلات والتَّنقُّلات بين حكام كردستان، كان يجري بإشارة من درويش محمود گله چيري.

ومجمل القول، إنَّ ناصر بك لمّا أدركته الوفاة، رغب ابنه خان أبدال في الحلول محلَّه في امارة سنجقي طور وهيتم، وقصد الآستانة للحظوة بزيارة السُّلطان سليم خان[٣٠] على عهد وزارة محمد پاشا الوزير الأعظم للحصول عليها، إذ غلبت عليه النَّفس المغرية، وغرست في قلبه حبَّ الحصول على حكومة الجزيرة، وكان يسعى لإزالة الإيالة واضمحلالها لها. غير أنَّ محمد پاشا الوزير الأعظم لمّا كان من محبِّي بدر بك، بل ومن الرَّاغبين في دوام النِّظام وسير الأمور بانتظام، وكان يحترم الأسر العريقة، لم يكن منه إلا أن أنَّب خان أبدال وطرده. وأخيراً لمّا أدرك الحاجة، قررَّ إلقاءه في السِّجن ومعاقبته، فأرسل في طلبه محمد آغا جاوش باشي مع لفيف من «جواويش» الباب العالي. وكان خان أبدال قد ذهب آنئذ مع عدد من أنجال أمراء

(٢٩) يعني السُّلطان سليمان القانوني الذَّي ترجمنا له.

(٣٠) هو السُّلطان سليم خان الثَّاني بن سليمان القانوني تولَّى السَّلطنة من سنة ٩٧٤هـ (١٥٦٦م) لغاية سنة ٩٨٢هـ(١٥٧٤م).

(بختي - بوتان) وبعض ملازميه ورفاقه لأداء فريضة العصر في جامع أدرنه[٣١]. وما انتهى من صلاته حتى أدركه (جاوش باشي) مع «الجواويش» وكلّفوه الحضور في ديوان الوزير الأعظم. فدهش الأكراد الحاضرون من هذه الدَّعوة غير المترقَّبة، مجمعين على أنَّ قدوم رئيس العرفاء مع عرفاء الباب العالي في طلب خان أبدال ليس مبشَّراً بالخير، والمحتمل أنَّهم أزمعوا القضاء عليه. فدفع هذا الزَّعم أحد ملازمي خان أبدال المدعو شيخ شيخان إلى أن يهتبل الفرصة من چاوش باشي من الخلف، ويطعنه بخنجره طعنة عنيفة بين كتفيه، برز سنان الخنجر من صدره. فلم يكن من الچواويش إلاّ أن تشتَّتوا وبادروا بعرض الحادثة الَّتي جرت لرئيسهم على الوزير. أما خان أبدال ورفاقه، فقد اندهشوا من هذه الحادثة ومن الخطر الدَّاهم المحدق بهم، وانتشروا في أدرنه، حيث أخذ بعضهم يلتجيء إلى المخابيء ليستتر فيها، وطفق قسم منهم يبارحون البلدة إلى الصّحاري والبراري. وبينما هم كذلك، إذ صدر الأمر العام من الوزير والسُّلطان، إلى جميع أهل المدينة بالبحث عن خان أبدال وأصحابه، وانبثَّ السَّماسرة والمنادون في الأزقة والحارات للإعلان، وبدأ الجميع يفتِّشون عنهم. ولم تمض برهة من الزَّمن حتى ألقوا القبض على خان أبدال وكثير من أصحابه، فأتوا بهم إلى دار الحكومة، وصدر الأمر السُّلطاني بقتلهم جميعاً فوراً، فنفِّذ فيه وفي أتباعه البالغين مئة نفر من الوجهاء والأعيان وصودرت أموالهم وأثقالهم؟! وأودعت في خزانة الدَّولة.

أعقب خان أبدال سبعة بنين، كانوا نموذجاً للأخلاق الفاضلة، هم: الأمير ناصر والأمير شرف والأمير محمد وشاه علي والأمير سيف الدِّين والأمير عزالدِّين والأمير أبدال.

كان الأمير ناصر قد اشترك بادئ بدء في سفرة روان[٣٢] بالنِّيابة عن سلطان

---

(٣١) أدرنه: بلدة معروفة في تركية الحالية، وهي مركز الولاية المسَّماة باسمها، تقع على وادي مارج. كانت الدَّولة العثمانية نقلت إليها عاصمتها، لتساعدها أوضاعها الجغرافية على فتح البلدان المجاورة.

(٣٢) وفي النُّسختين الخطِّيتين(ايروان) [محمد علي عوني] وفي كلتا الحالتين يراد بها اريڤان الحالية عاصمة جمهورية أرمينية.

محمد حاكم الجزيرة فلمَّا رجعت القوَّات وبلغوا قلعة قارص[٣٣]، اخترق نعي سلطان محمد حاكم الجزيرة مسامع فرهاد پاشا الوزير القائد، فارتأى أن يسند حكومتها إلى أحد ورثته المرافقين للجيش، وارتأى وجهاء بختي - بوتان ترشيح الأمير ناصر لتولِّي الحكومة، وراجعوا بأجمعهم راقم هذه الحروف «المؤلِّف»، فعرض الفقير بغيتهم على القائد الوزير، فوافق على إناطة حكومة الجزيرة به.

بيد أنَّ الأمير عزيز بن كاك محمد عرض على القائد بوساطة بالي چاوش: «إنَّ سلطان محمد قد ترك زهاء مئة ألف سبيكة سلطانية وكمِّية كبيرة من الأمتعة النَّفيسة، وليس له وارث غير شقيقتين، وإنَّني أحقُّ من الأمير ناصر بتولّي الحكم لأنَّني أقرب إليه. فلو أنعم علي بأيالة الجزيرة فإنَّني أتعهد بدفع مئة ألف دينار ذهبي «فلوري» من تركة سلطان محمد واثني عشرة آلاف دينار ذهبي «فلوري» أخرى من مالي الخاص إلى خزينة الدَّولة!».

فلمَّا سمع القائد هذا الوعد عدَّه فوزاً عظيماً. وفي أحد الأيام وكان موعد حظوة الأمير ناصر بالزِّيارة، أمر بإحضاره مع منافسه الأمير عزيز. فلمَّا حضرا إلتفت نحو أعيان بختي - بوتان سائلا: «أيُّ الرَّجلين أقرب إلى سلطان محمد المتوفَّي؟». فردَّ عليه وجهاء الجزيرة: «أن الأمير عزيز أقرب إلى المتوفِّي من جهة!». فقال: «لمَّا كان الأمير عزيز يستحقُّ إيالة الجزيرة بحسب العادة الوراثيَّة، فأناطتها به أولى!» فتقدَّم الوجهاء قائلين: «إذا كان الأمير عزيز يمتُّ بصلة القرابة إلى الأمير المتوفَّي ويستحقُّ المنصب إرثاً، فإنَّ عشائر الولاية وقبائلها كافة مع وجهائها وأعيانها يرغبون في نصب الأمير ناصر حاكماً عليهم، لا لأنَّه أكفأ وأولى لحفظ المملكة وصيانة الأمن فيها، فقط بل لأنَّه أكفأ حتى من الحكام السَّابقين!!» فقال القائد: «ومهما كان الأمر كما تزعمون فإنني أسند حكومة الجزيرة إلى الأمير عزيز!». ولم يتمَّ كلامه حتى ردَّ عليه أحد وجهاء بختي - بوتان بقوله: «هناك نص في الأنظمة الَّتي سنها السُّلطان سليمان خان يفيد: إنَّ العشائر والقبائل إذا رغبوا في أن ينصِّبوا شخصاً لتولِّي أمرهم، فلهم الحق في نصبه. فإنَّنا لا نقبل بتولية الأمير عزيز علينا...![٣٤]».

---

(٣٣) قارص: مقاطعة معروفة في شرقي تركية الحالية مركزها مدينة قارص القريبة من جمهوريتي أرمينية وجورجيا.

(٣٤) راجع (ص ٦٦٨) للإلمام بالمواد الَّتي اتفَّق عليها مولانا إدريس مع السُّلطان سليم.

وما كاد القائد يسمع هذه الكلمات حتى استشاط غضباً وطلب على الفور سيفاً يضرب عنق الأمير ناصر أمام باب خيمته ويريق دمه غدراً، فقضي عليه بالموت يوم الخميس التَّاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك من سنة إحدى وتسعين وتسع مئة (١٥٨٣م) فأدّى عمله الفظيع هذا إلى أن تثور ثائرتهم وتقوم قيامتهم ويضجُّوا صغاراً وكباراً، شيوخاً وشباباً، ويبكوه دماً.

lE

«بگرديد عالم از آيين خويش كه آمد عجب مشكل سخت پيش»
«ز اندوه آن مأتم جان گسل روان گشت از ديدها خون دل»

(لقد عرض النَّاس عن سنَّته، لما حلَّ من الخطب الهائل. فقد أدَّت تلك الفاجعة إلى أن تتدفَّق من العيون دماء القلوب المكلومة).

وبعد ذلك أسند ولاية الجزيرة إلى عزيز وخلع عليه الخلع والاوسمة، وشمله بالأعطاف وسيَّر معه بالي چاوش بقوَّة كبيرة لإخضاع السُّكان لأمره وإحلاله الجزيرة. أما الأمير شرف وبقيَّة إخوته، فقد اختاروا زاوية العزلة مع بعض الموالين لهم في ناحية طنزي. وسنسرد ما آلت إليه حالهم قريباً بقلم كسير بعون اللّه الملك الحميد المجيد.

١٩- الأمير عزيز بن كاك محمد

لمّا تقلَّد زمام الحكم على الجزيرة بفضل معونة فرهاد پاشا الوزير له، ومضت على تولِّيه الحكم سنة وأربعة أشهر، أسند عثمان پاشا الوزير الأعظم حكومة الجزيرة إلى الأمير محمد بن خان أبدال. ولبث الأمير عزيز، وهو مقصى عن منصبه، سائراً مع الجيش في الحملة على تبريز يؤدِّي الخدمات الهمايونيَّة، ثمَّ هجر الجزيرة، وراح يقضي أوقاته في سنجار.

ثمَّ لمّا توفِّي عثمان پاشا في تبريز وتسلَّم فرهاد پاشا القيادة للمرَّة الثَّانية ونهض إلى بلاد العجم «إيران»، قصده الأمير عزيز، وحظي بزيارته في أرضروم، وطالب بحكومته الوراثيَّة، فأنعم بها عليه، بعد أن تعهَّد أن يضمَّ ثلاثين قرية من قرى النَّصارى التَّابعة لحكومة الجزيرة إلى الخواص السُّلطانية، ويدفع كل سنة زهاء ستين

ألف دينار ذهبي «فلوري» من ريع القرى المذكورة إلى خزينة الدَّولة. وعلى هذا الأساس نيطت به إيالة الجزيرة. فلمّا بلغ هذا النبأ مسامع الأمير محمد، تخلّى عن الحكم، وقصد الآستانة. وفيما دالت الوزارة، وتولَّى سنان پاشا الأمور الوزارية، أقصى الأمير محمداً إلى روم إيلي، تلبية لرغبة الأمير عزيز ودفعاً للفتن والفوضى. أمّا ناحية طنزي الَّتي كانت دار إقامة الأمير شرف وإخوته، فقد طمع فيها الأمير عزيز بعد اعتبارها سنجقاً. وناط إمارتها بابنه حاجي بك. ثمَّ كرَّس جهده لاستئصال شأفة ذريَّة خان أبدال وإزالتهم من الوجود بالقضاء عليهم. وهكذا استتب له الأمر وتقلَّد الحكم في هذه الولاية متمتِّعاً بالرَّفاه وفراغ البال، دون أن يكون هناك من ينافسه في الملك أو ينازعه عليه.

وبعد أن مضت أيّام على هذا المنوال، أخذ الأمير شرف بن خان أبدال مع إخوته الأمير عزالدِّين والأمير سيف الدِّين والأمير أبدال - وكان كل واحد منهم يحاكي غصن بان مترعرع في رياض الأيالة، وفرع (سرو) سامق في حدائق السَّلطنة، وقد افتتن بهم العشائر والقبائل، وأعجبوا بسيرتهم ولطافة خلقهم- يزمعون منازعته الحكم، ويتأهَّبون لمنافسته بعزم لا يلين، ويتصدَّون لعماله باسم المطالبة بدم أخيهم الأمير ناصر، وراحوا يزحفون على بلاده ويقتحمون مملكته، وهم يرمون من وراء ذلك أن يحولوا دون سيطرته على ولاية الجزيرة -عدا القلعة والمدينة- فاضطرَّ الأمير عزيز أن يتعهد بحراسة مدينة الجزيرة وحماية قلعتها وصيانة الأمن فيها بكل من ابنه حاجي بك وابن أخيه الأمير هاوند، ويمَّم بنفسه شطر الآستانة عسى أن يتمكَّن من الثَّأر منهم. أما الأمير شرف وإخوانه، فقد تقدَّموا في زحفهم، واستولوا على جميع القرى والنَّواحي التَّابعة لولاية الجزيرة مع مضافاتها وملحقاتها وانحاز إليهم أكثر عشائر البختي - البوتان، وعقدوا معهم معاهدات الحلف والولاء. ثمَّ حملوا على قلعة الجزيرة الَّتي هي العاصمة، فحاصروهاوضيَّقوا الخناق على سكَّانها والقوات الَّتي فيها. فلمّا امتدَّت أيام الحصار زهاء أربعين يوماً، ولم يأتهم من جانب الأمير عزيز الَّذي لجأ إلى الآستانة مدد ولا معونة، ضاقت بهم الحال وأصابهم الضَّنك واتَّفق أن توفِّي حاجي بك الذاهب للإستنجاد بإبراهيم پاشا أمير أمراء دياربكر، أدَّت هذه الحوادث إلى أن تهن عزيمة المحصورين، ويضطرب حبل الأمن في البلدة. فلم يكن من الأمير هاوند ونفر من صحبه إلاّ أن تركوا أهل بيت الأمير عزيز في القلعة

وتخلّوا عنها في منتصف الليل، فاتحاً أبوابها في وجه القوَّة الزَّاحفة. فلمّا استخبر الأمير سيف الدِّين اخو (الأمير شرف) عن إذعانه للعدو، تصدى له في طريقه، فنشبت بينهما معركة دامية، لكنَّه أخفق ومني بالقتل على يد الأمير هاوند. وهكذا خلَّص نفسه من ذلك المأزق.

ثمَّ إنَّ الأمير شرف وأخاه الأمير عزالذِّين دخلا المدينة ظافرين فاحتلا القلعة واستوليا على جميع ما خلَّفه الأمير عزيز و حواشيه من الأمتعة والأثقال والأموال، وأودعا أهل بيته وأسرته في كنف بعض أعيان البلدة ليحرسوهم حراسة الأسرى، ووزَّعا قيانه وجواريه على أتباعهما، ولقد ضاع في هذه الحالة إبن الأمير عزيز الطِّفل ايضاً.

ولما شاع هذا الخبر المؤلم في الآستانة، رفع إلى السُّلطان فوراً، فسيَّر حسين پاشا أمير أمراء الموصل برفقة الأمير عزيز، وأصدر الأمر إلى جميع أمراء كردستان وحكامها أن يسيروا معهما بقواتهم إلى الجزيرة لاسترداد الولاية من الغاصبين وإجلائهم عنها وردِّها إلى الأمير عزيز، ثمَّ القبض على الأمير شرف وأخيه اللذين سيطرا على الجزيرة عنوة، مهما كلَّف الأمر، وتأديبهما مع الثُّوار والفوضويين الشُّقاة تأديباً يكون درس عظة وعبرة لكل من ينوي التَّمرُّد والعصيان.

فامتثل حسين پاشا الأمر، ونهض بالإتِّفاق مع محمد بك حاكم حظو وبجيش الموصل في شتاء سنة تسع وتسعين وتسع مئة (١٥٩٣م) إلى غزو الجزيرة. فلمَّا بلغ الأمير شرفاً وأخاه نبأ اتِّجاه القوَّات إليهم، غادروا بلدة الجزيرة وقلعتها إلى ناحية طنزي حيث بقي أهل بيتهم فحملوهم معهم وذهبوا بهم جميعاً إلى أنحاء خيزان ومكس. وهكذا مكَّن حسين پاشا الأمير عزيزاً في الجزيرة، وأعاد الطمأنينة إلى نصابها، ورجع أدراجه.

ولمّا عاد الپاشا أدراجه، قام الأمير شرف وإخوته مع كثير من الوجهاء والأعيان بمحاصرة قلعة الجزيرة وتضييق الخناق على السُّكان. ولمّا لم يكن الأمير عزيز كفؤاً للدِّفاع والمقاومة، ولم يستطع الثَّبات أمام قوَّة العدو، تخلّى عن القلعة، ولاذ بالفرار مع الأمير هاوند. وما علم بذلك الأمير شرف حتى تعقَّبهما. ولمّا لحقهما وأخذ يبادلهما الشَّتائم، ظفر بالأمير هاوند فقضى عليه. أما الأمير عزيز، فقد عثر عليه بعد ذلك ببضعة أيام في صحراء جرداء ميِّتاً.

«چنين است دستور چرخ كهن كه چون سر بر آري ، برآرد ز تن»
«درين لاجوردي سراى دودر ز دنبال مطرب رسد نوحه گر»

(هذه هي سنَّة الدَّهر العجوز، إذا رفعت رأسك قلعك من جذورك. في هذا البلاط اللازوردي «الدُّنيا» ذات البابين، يخلف المطرب الواصف، النَّائح النَّادب).

٢٠- الأمير محمد بن خان أبدال

لما قضى فرهاد پاشا الوزير الأعظم على الأمير ناصر أخي الأمير محمد بالقتل، سنة إحدى وتسعين وتسع مئة (١٥٨٣م) وأسند إيالة الجزيرة إلى الأمير عزيز، كان قد سيَّر معه بالي چاوش للإستيلاء على تركة سلطان محمد. وكان الأمير محمد هذا قد ذهب آنئذ بعقيلة أخيه المقتول وجميع أسرته إلى الباب العالي لعرض الكارثة على أولياء الأمور. فاتَّفق في تلك الآونة أن تخلي فرهاد پاشا عن منصب قيادة الجيوش في بلاد العجم «ايران»[٣٥] - لما صدر منه الإهمال والتقصير - وأحلَّ محلَّه عثمان پاشا فما كان منه إلاّ أن أقصى الأمير عزيزاً عن الحكم وأنعم بإيالة الجزيرة على الأمير محمد فبقي بها حاكماً حتى وفاة عثمان پاشا في تبريز وإسناد القيادة في بلاد العجم «ايران» إلى فرهاد پاشا مرَّة أخرى. عند ذلك هرع إليه الأمير عزيز على جناح السُّرعة وحظي بزيارته في أرضروم، كما قدَّمنا ذلك، فأعاد إليه إيالة الجزيرة بعد أن تواعد معه أن يضيف ثلاثين قرية من قرى الأرمن التَّابعة لولاية الجزيرة إلى الخواص الهمايونيَّة وأن يدفع كل عام ستين ألف دينار ذهبي «فلوري» من الجباية إلى خزينة الدَّولة. فقصد الأمير محمد المقصى عن منصبه الباب العالي للمرَّة الثَّانية. غير أنَّ الوشايات الَّتي حيكت ضدَّه والتُّهم الَّتي دبِّرت له بإشارة من فرهاد پاشا أدَّت إلى إبعاده إلى ولاية (بدوز؟)[٣٦] حيث نيطت به وظيفة من الوظائف ليقوم بإدارة شؤونها ويرفِّه بها عن نفسه وأُجبر على الإقامة فيها طوال حياته.

(٣٥) يعني رئاسة الجيش في البلدان الإيرانية المحتلة من جانب الدَّولة العثمانية.
(٣٦) هذا الرَّمز الاستفهامي قد ورد طبقاً للأصل الفارسي وهو من الرُّموز الَّتي وضعها المستشرق

أمّا الأمير شرف الّذي كان قد سار مع إخوته إلى گرجستان - جورجيا بصحبة الجيش، فإنَّه لمّا عاد من السَّفرة اختار العزلة، وذهب مع إخوته إلى ناحية طنزي ليتَّخذها مقاماً ويقبعوا في زوايا العزلة بها. إلا أنَّ الأمير عزيزاً لم يدع النَّاحية المذكورة في تصرُّفهم أيضاً، بل استصدر العهد السُّلطاني بتفويض زمام إدارتها إلى إبنه حاجي بك كسنجق، إذ كان قد عزم في عودته إلى الحكم على الجزيرة لهذه المرَّة على إستئصال جذور ذرِّيَّة خان أبدال وقطع دابرهم. إلاّ أنَّه أخفق في محاولته - كما يظهر مما بيَّناه بوضوح - إذ قضى هو وإبنه حاجي بك وابن أخيه الأمير هاوند وبقيَّة أسرته ذكورهم وإناثهم وانقرضت ذريتهم. وانتقل الملك إلى الأمير شرف لكفايته واستعداده فأخذ يوجِّه إخوته إلى احتلال القلاع والنواحي. وما كاد نبأ ثورته هذه يمرُّ بآذان أعيان الدَّولة وأركانها، حتى أوفدوا إلى بوسنه[٣٧] من يأتي بالأمير محمد إلى الإستانة على جناح السُّرعة، حيث أنعم عليه بإيالة الجزيرة تلبية لرغبة إبراهيم پاشا الوزير، وأصدر الأمر إلى محمد پاشا البوسنوي أمير أمراء ديار بكر وإلى بقيَّة أمراء كردستان أن يصطحبوه إلى الجزيرة، فينتزعوا حكمها من إخوته، ويسلِّموا إليه مقاليدها.

ولمَّا اتّجه محمد پاشا إلى الجزيرة مع أمراء ديار بكر، نزل الأمير شرف عن القلعة والولاية لأخيه الأمير محمد عن طيب نفس وتنحّى بنفسه نحو ناحية طنزي ليقيم بها. غير أنَّه لم تمض أيام على ذلك حتي تدخَّل في الأمر أعيان عشائر بختي - بوتان ووجهائها، وجاؤوا بالأمير شرف إلى الجزيرة، فتلاقى الأخوان وعقدا ميثاق الولاء والصُّلح. فترك ناحية شاخ وعدداً من القرى والجهات الأخرى المعادلة لنصف ولاية الجزيرة لأخيه الأمير شرف وبقيَّة إخوته وحواشيهم، واحتفظ لنفسه بالمدينة وبنواح أخرى، على أن يكون هو الملزم بدفع الإتاوة الَّتي تعهَّد بمنحها للسُّلطان ووزيره وقدرها مئة وخمسون ألف دينار ذهبي «فلوري». وعلى هذا تمَّ بينهما الأمر.

بيد أنَّه لم تمض على هذه الحال مدَّة من الزَّمن حتى أخذ أعيان بختي - بوتان

الروسي (ف. فلياميـنوف. زرنوف) ولعلَّه عنى به: إنَّ الاسم ضبط خطأً، صوابه (بودين) وهي بلدة من بلاد المجر تقع في محاذاة عاصمتها مدينة پشته وعلى الضِّفة اليسرى من طونه.

(٣٧) بوسنه: إحدى المقاطعات القريبة من شبه جزيرة البلقان، خضعت للحكومة العثمانية أمداً طويلاً وأخيراً ألحقت بحكومة النَّمسا، واليوم دولة مستقلة.

ووجهاؤها ينحازون إلى الأمير شرف. فلمَّا أحسَّ الأمير محمد بهذه الأوضاع الَّتي رآها من القبائل والعشائر، وعلم أنْ سينوء كاهله بالإتاوة المفروض عليه أداؤها، فضَّل التَّنحِّي عن الإمارة، ومبارحة الجزيرة. وما إن تحقَّق لأعضاء دولة السُّلطان مراد خان[٣٨] ما اتَّصف به الأمير شرف من الكفاية والجدارة حتى أنعم عليه بأيالة الجزيرة وأصدر العهد الحكومي والخلع والأوسمة باسمه وبعث بها إليه في الجزيرة. فلمّا تلقَّى الأمير محمد النبأ لاذ بأذيال الفرار وعرض التجاءه على الأمير محمد بك حاكم حظو - حزو إذ كانت قرينته أخته فتركها ثمَّة مع سائر أسرته وتمكَّن بمعونة منه من الإتجاه إلى الآستانة حيث شملته الأعطاف السُّلطانية فأنعم عليه بسنجق حصن كيفا - حسنكيفا. وفيما رافق الجيش العثماني الزَّحف على قلعة أكري[٣٩] الَّتي تكلَّلت الهام بالإنتصار فيها واشترك في المعمعة ضدَّ النَّصارى وأبدى فيها بسالة قرَّر ديوان السُّلطان محمد[٤٠]، (خلدت خلافته)، فكافأته بإعادة حكومة الجزيرة إليه. إلاّ أنَّه أوجس في نفسه خيفة من الأمير شرف فلم يجرؤ على العودة إليها بل رفضها رفضاً باتاً.

٢١- الأمير شرف بن خان أبداك

كان من خيرة الأسرة الَّتي تولَّت الحكم على الجزيرة، وقد تمكَّن من خطف كرة السَّبق في ميدان الكرم والسَّخاء، بصولجان المروءة والشَّهامة، من بين الأقران والأمثال، وأن يخوض غمار المعارك والمعامع فيبذَّ أقرانه ببطولته وشجاعته، وقوَّة ساعده، ويقوم بأعمال جليلة.

ﻩE

بود بروز سخايش زجود حاتم ننك بود بگاه وغايش ز رزم رستم عار

(لقد برز سخاؤه بحيث يستحيي من ذكر جود حاتم معه، ويُضحي

---

(٣٨) هو السُّلطان مراد خان الثَّالث الَّذي تولَّى السَّلطنة من سنة ٩٨٢هـ (١٥٧٤م) لغاية ١٠٠٣هـ(١٥٩٤م).

(٣٩) أكرى: إحدى القلاع المشهورة في بلاد المجر القديمة.

(٤٠) هو السُّلطان محمد خان الثَّالث بن السُّلطان مراد الثَّالث المعروف بلقب فاتح أكري، تولَّى السَّلطنة من سنة ١٠٠٣هـ(١٥٩٤م) لغاية سنة ١٠١٤هـ (١٦٠٤م).

عند دخوله غمار الحرب بحيث يخجل المرء بمقايسة رستم به).

والحق يقال إنَّ الشَّعب والجيش عاشا في ظلال عدله برفاه و رخاء ممتنِّين من لطفه، كما كان القريب والغريب راضياً من حسن خلقه، حتى إنَّ أعداءه كانوا معجبين بسيرته يثنون عليه الثَّناء الباهر، ويدعون له بدوام الدَّولة والعز.

طرز خلق سامى أو نوع انسان را كمال جود كف كافي أو نخل احسان را ثمر
گردد از حسن نضارت رشك بستان ارم گر بشورستان ، سحاب لطف او ريزد مطر

(كان الخلق السَّامي الَّذي تحلَّى به، في منتهى ما تصل إليه الإنسانيّة، وكانت كفَّاه اللتان تجودان بالإحسان كالنَّخلة المثمرة، فلو أنَّ سحاب لطفه أمطر على الأرض القاحلة (السبخة لجعل منها روضات زاهية تحاكي جنات إرم).

وبعد أن انتهت القضايا الَّتي حدثت لكل من الأمير عزيز والأمير هاوند مع الأمير شرف وإخوته - كما بيَّنا ذلك مفصَّلاً في ترجمة الأمير عزيز - إنتقل زمام الحكم في الجزيرة إلى صاحب التَّرجمة فقام به فيها خير قيام وأبدى الكفاية والجدارة في حفظ الولاية وصيانة الأمن بها. وفيما هو كذلك إذ بوزير عصره يخلعه من الحكم ويستحضر أخاه الأمير محمداً من بوسنه ويسند إليه إيالة الجزيرة. غير أنَّ الأمير محمداً لمّا لم يكن كفؤاً لإدارة شؤون الحكومة فيها - كما قدَّمنا ذلك - ما كان من الباب العالي إلاّ أن أمر بخلعه مرَّة أخرى وبإعادة الحكومة إلى أخيه الأمير شرف صاحب التَّرجمة.

بيد أنَّه ما كاد يمضي على تقلُّده زمام الحكم وقت كبير حتى رغب الأمير عزالدِّين في الحصول على حكومة الجزيرة تلبية لما وسوست به نفسه المغرية وأخذ يتدخَّل في شؤون حكومته ويشنُّ على أنحاء ولايته الغارات بما جمع حوله من قوَّات ألَّفها من الهمج والرِّعاع، وكان الأمير شرف بك يهابه ويتوجَّس منه خيفة. ولم يزل كذلك حتى أوفد إليه ذات يوم من يدعوه إليه، وكان قد أحتال لقتله فتآمر عليه مع لفيف من معتمديه للقضاء عليه عندما يدخل داره وكان قد أخفاهم في بيته. فلمّا جاء الأمير عزالدِّين وحلَّ داره، هجم عليه المتستّرون فأغتالوه.

وهكذا أفرغوا لبَّه ممَّا دخله من وساوس الغرور الشَّيطانية! ثمّ صفا له الجوُّ وأستقلَّ بحكم بلاد الجزيرة وأخذ يدير شؤونها بالعدل والإنصاف ويتقدَّم بها نحو العمران. هذا ونأمل له من اللّه التَّوفيق[٤١].

الشعبة الثانية:

في سيرة أمراء گورگيل - جردقيل[٤٢]

لقد سبق أن ذكرنا أنه حين قسم أولاد سليمان بن خالد ولاية الجزيرة فيما بينهم صارت ناحية گوركيل - جردقيل من نصيب الأمير حاجي بدر ومنه تناسلت الأسرة الآمرة بها. وكانت گوركيل تدعى قبلاً جردقيل[٤٣] غير أنَّ النَّحت تطرَّق إليها بسبب كثرة استعمالها فجعلها گوركيل.

---

(٤١) انتهى عهد المؤلِّف به سنة ١٠٠٥هـ(١٥٩٦م) ولكن هذه الإمارة دامت حتى عهد آخر أمير لها بدرخان پاشا فقد تولىّ هذا الأمير الحكم في الجزيرة وعرفت حكومته بحكومة بوتان نسبة إلى المنطقة المذكورة وكان تقلُّده زمام حكمها سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م فأخذ يسعى لقطع دابر الحكومة التُّركية والاستقلال بجميع بلاد كردستان. وقد بذل لذلك الجهد ووسَّع نفوذه حتى امتدَّ إلى حدود وان وسابلاغ - مهاباد وراوندوز والموصل. وكان قد احتلَّ مدن سنجار وسعرد ويران شهر وسيورك وأشنه وأورميه - رضائية وضرب في سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م) النُّقود باسمه، ثمَّ إنَّ الحكومة العثمانية أدركت خطره فحشدت جميع قواتها وأغارت عليه يساعدها في ذلك بعض الأكراد النَّفعيين الخائنين من أمثال عزالدِّين شير فاضطرَّه بعد المعارك العنيفة إلى التَّحصن في قلعة أروخ الَّتي حاصرتها تلك القوَّة الهائلة زهاء ثمانية أشهر فأدَّى الضِّيق بالأمير بدرخان پاشا أن يخرج من القلعة بمن معه من المدافعين ويقتحم صفوف القوَّة المحاصرة، إلاَّ أن جيشه انكسر انكساراً ذريعاً فقبض عليه وعلى اثنين من أولاده فأرسلوا جميعاً إلى الآستانة سنة ١٢٦٣هـ (١٨٤٨م) فأصدرت الحكومة العثمانية (مدالية حرب كردستان) المكتوبة على أحد وجهيها (مدالية كردستان) وعلى الوجه الآخر مرسوم (قلعة أروخ) الحصينة تذكاراً لتلك الكارثة.

(٤٢) تعريب كلمة گورگيل إلى (جردقيل) أعتقده خطأ فصواب الكلمة «گورگه ل» = جموع الگورانيين.(والله أعلم) أو «گردگل» مجموع الأبطال.

(٤٣) لعلَّ لفظة جردقيل هذه جاءت في الأصل تعريباً لكلمة گورگل - أي جماعة الأبطال - الَّتي تطرَّق إليها النَّحت فصارت گورگيل.

في هذه النَّاحية جبل الجودي[٤٤] الذَّي رست عليه سفينة النَّبي نوح عليه السَّلام وتتبعها زهاء مئة قرية عامرة من قرى المسلمين والأرمن، فيها المشاتي والمرابع تأوي إليها القبائل والعشائر لقضاء الوقت فيها.

١- الأمير حاجي بدر

وخلاصة القصَّة أنَّ الأمير حاجي بدر، مؤسِّس هذه الأسرة، لمّا توفِّي في هذه الولاية وقضى نحبه حلَّ محلَّه حاجي محمد بن شمس الدِّين من حفدته.

٢- حاجي محمد

بعد أن قضى ردحاً من الزَّمن حاكماً في هذه الأنحاء وافته المنون.

٣- الأمير شمس الدِّين

ثمّ قام مقامه ابنه الأمير شمس الدِّين الذَّي قام بإدارة شؤون الحكومة في تلك المنطقة مدَّة من الزَّمن ثمَّ وافته المنون مخلفاً ثلاثة بنين هم:الأمير بدر والأمير حاجي محمد والأمير سيد أحمد. فتقلَّد كل منهم زمام الحكم في منطقة گورگيل - جردقيل بالتَّعاقب. بيد أنَّنا لم نحصل على شيء من تراجم الأمير بدر والأمير حاجي محمد لذلك ضربنا صفحاً عن الخوض في تراجمهما.

٤- الأمير سيد أحمد بن الأمير شمس الدِّين

كان رجلاً بلغ في البطولة والبسالة الذَّروة وكان في المعامع والمعارك الَّتي يخوض غمارها يقوم بالأعمال الجليلة وفيما عرض الأمراء الأكراد طاعتهم على السُّلطان سليم خان[٤٥] وهو بينهم أضحى من المقرَّبين لديه. فقد كان يطرب السَّامعين بكلماته الرَّقيقة وبلطائفه النَّادرة المستملحة. ولمّا توفِّي السُّلطان سليم خان المذكور وحلَّ محلَّه السُّلطان سليمان خان[٤٦] لم يغيِّر السُّنة الَّتي سنَّها لنفسه وكان سيرته وخلقه مما أعجب به السَّلاطين وقد منح ردحاً من الزَّمن إمارة الموصل وسنجار إضافة

---

(٤٤) راجع تعليقنا على هذه اللفظة في (ص ٢٧٣).

(٤٥) هو السُّلطان سليم خان الأول الَّذي مرَّت ترجمته في ص ٢٨٢ .

(٤٦) هو السُّلطان سليمان القانوني الَّذي ترجمنا له سابقاً.

إلى گورگيل - جردقيل بعهود سلطانية.

ويروى أنَّه حين عادالسُّلطان سليمان خان من بغداد كان الأمير سيد أحمد هذا قد أدخل نفسه في تابوت أتي به فوضع على الطَّريق الَّذي يسلكه السُّلطان. فلمَّا وقع نظر السُّلطان عليه استفسر عن الحادث فأجيب إنَّ فيه جثَّة الأمير أحمد، وهو يقول«كان سنجق الموصل بمثابة الروح في جسمي فلمَّا ناطه السُّلطان بغيري بقي جسمي جثَّة من غير روح!» فاستحسن السُّلطان لطيفته[٤٧] وأعاد إليه الموصل إضافة إلى گورگيل - جردقيل، وبذلك أدخل الرُّوح في جسده. هذا وقد عاش أمداً طويلاً لم يزل خلاله معزَّزاً مكرَّم الجانب من السَّلاطين وأركان االدَّولة.

وقلعة گورگيل - جردقيل من قلاع كردستان الحصينة حتى إنَّه يروى أنَّ سليمان بك بيجن أوغلي[٤٨] الَّذي حاصر قلعة العماديَّة ولم يتمكّن من فتحها حتى حلَّ به الشِّتاء القارس فأنسحب إلى ناحية بشيري وعسكر بها. في تلك الآونة كان عزالدِّين شير حاكم ولاية حكاري - الذَّي كان قد تحصَّن آنئذ في قلعة باي التَّابعة لولايته، بعد أن خضعت ولايته وبقية قلاعها لعمَّال الدّولة الآق قويونلية - قد راسل سليمان بك بهذه الكلمات: «إذ كانت قلعة گورگيل وقلعة العماديَّة وقلعة باي وقلعة سوى من أعمال بتليس لاتزال تحت تصرُّفنا فإنَّنا لا نهاب بأسكم. وإنَّ الأكراد لا يأبهون لخيامكم المضروبة في بلادهم بل يسخرون منها وينظرون إليها نظرة تحقير وازدراء كأنَّها كومات من السِّرقين وأرواث حظائر البقر.

ومجمل القول إنَّ الأمير سيد أحمد بعد أن تولَّى الحكم في گورگيل - جردقيل مضافاً إليها سنجق الموصل فترة من الزَّمن أنشبت المنيَّة أظفارها فيه فقام مقامه إبن أخيه في تولِّى الحكم في الولاية.

٥- الأمير شمس الدِّين بن الأمير بدر

لمّا توفِّى عمه الأمير سيد أحمد، اعتلى سرير الحكم مكانه في گورگيل -

---

(٤٧) لعل السُّلطان أدرك أنه لا يريد بذلك لطافة بل إنَّه يعني المفاداة بنفسه النفيس في سبيل الحصول عليها.

(٤٨) يعني سليمان بن بيشرن من قواد حسن الطَّويل الآق قويونلو. وقد حدثت هذه المعركة في سنة ٨٧٥ هـ(١٤٧٠م).

جردقيل فعني بإدارة الولاية إدارة حسنة وكان له أخوة ثلاثة: الأمير إبراهيم والأمير عمر والأمير حاجي محمد. وبعد أن مضت على تقلُّده زمام الحكم سنون، لحق بجوار ربِّه فتسلَّم كرسي الإمارة مكانه أخوه الأمير إبراهيم.

٦- الأمير ابراهيم بن الأمير بدر

إعتلى منصَّة الحكم في گورگيل - جردقيل مكان أخيه. وفيما شبَّ النِّزاع بين بدر بك حاكم الجزيرة وبين أخيه ناصر بك حول تقلُّد زمام الحكم في الولاية المذكورة - كما ذكرنا هذا البحث بتفصيله في ترجمة بدر بك - كان الأمير إبراهيم هذا قد اتَّجه إلى وان للتظلُّم من ناصر بك لكي يستحصل من فرهاد پاشا أمير الأمراء أمراً بتأديبه وليحمله معه إلى الآستانة للحظوة بزيارة السُّلطان سليمان خان. فصادف في هذا العهد أن كان الشَّاه طهماسب الصَّفوي[٤٩] قد شنَّ بجيش عرمرم غارة عنيفة على أنحاء وان والجهات المتاخمة لها، فلم يكن من الأمير إبراهيم إلا أن أخذ يتمثَّل بقول الشَّاعر: (ومن نجا برأسه فقد ربح[٥٠] فغادر بارگيري[٥١] إلى بتليس. غير أنَّه لمَّا خرج منها لحقه جمع من القوَّة القزلباشية فأشتبكوا به بين بارگيري وأرجيش[٥٢] ولكنه استحوذ عليهم وبدَّد شملهم تخلَّص منهم بجلادته وألقى بنفسه في قلعة أرجيش. فسار إليه الشَّاه طهماسب بنفسه وحاصره فيها مضيقاً الخناق عليه، وما كاد أمد الحصار يدوم أربعة أشهر حتى ضاق الحال بالمحصورين فقرَّروا التَّنازل عن القلعة وتسليمها إلى الشَّاه على أن يعطوهم العهود والمواثيق بالأمن على أنفسهم. أما الأمير إبراهيم وجماعة من عشائر بختي - بوتان فلم يكونوا راضين بهذا الصُّلح وأخيراً تفاهم سكان القلعة مع الشَّاه طهماسب سراً وأدخلوا في منتصف الليل قوَّة قزلباشية تتراوح بين خمس مئة إلى ست مئة نفر إلى داخل القلعة، وأتفقوا معها في الإغارة على (البختيين - البوتانيين) عند طلوع الفجر،

---

(٤٩) مرَّت ترجمة حياته.

(٥٠) هذا جزء من الشَّطر الثَّاني من البيت الآتي:

(فقلت للقلب تسلَّ واسترح ومن نجا برأسه فقد ربح) {محمد علي عوني}

(٥١) من المناطق التَّابعةلإيالة وان.

(٥٢) كانت من المناطق التابَّعة لإيالة وان.

وهكذا شاءت الأقدار أن يموت الأمير إبراهيم بك قتلاً ويجرح إبن أخيه ثمَّ يقع في الأسر مع جمع حاشد يتراوح عددهم خمسين إلى ستين نفراً، جيء بهم إلى الشَّاه طهماسب. فأصدر الأمر فوراً بسلخ جلودهم أحياء[٥٣]! وهكذا فارقوا الحياة جميعاً.

٧- الأمير أحمد بن الأمير إبراهيم

بعد أن قتل أبوه، أمر السُّلطان سليمان خان بإسناد إمارة (گورگيل - جردقيل) إليه، فبقى حاكماً عليها زهاء ثلاثين سنة. وكان قد رزق ولداً نذلا لئيم الطَّبع، يدعى الأمير محمد. فلمَّا أينع وترعرع وبلغ أشدَّه، واتَّفق أن حدثت بين الأمير عزيز خان وبين أولاد أبدال خان الحوادث المذكورة، ولزم الأمير أحمد جانب أولاد خان أبدال، كان إبنه هذا يلزم جانب الأمير عزيز ويراغمه، بل إنَّه أستنجد به في خلع أبيه من الحكم، والحلول محلَّه حاكماً على (گورگيل - جردقيل). فقصد الأمير أحمد (السُّلطان مراد خان) لعرض الحالة عليه والتظلُّم منه. ولكنَّ المنون حالت دون وصوله إلى مناه، فوافته في الطَّريق.

٨- الأمير محمد بن الأمير أحمد

بعد أن خلع أباه قهراً، تقلَّد زمام الحكومة مكانه في گورگيل - جردقيل. ولكنَّه كان غبياً بليداً خاملا، لم ينل قسطه من الفهم والنَّباهة وهو، وإن تمكَّن من توسيع حدود مملكته وبسط نفوذه حيناً ما بفضل مساعدة الأمير عزيز، إلاّ أنَّه أخفق أخيراً وقتله أبناء عمِّه: الأمير عمر والأمير محمد والأمير محمود.

٩- الأمير أحمد بن الأمير محمد

لمّا توفِّي والده، كان صبيّاً صغير السِّن. ولكنَّه الآن - وقد حلَّ اليوم الثّالث من شهر رمضان من سنة خمس والف (١٥٩٧م) يتقلَّد زمام الحكم في (گورگيل - جردقيل) بفضل معونة الأمير شرف بن خان أبدال).

---

(٥٣) كان وقوع هذه الأحداث في سنة ٩٦١هـ(١٥٥٤م).

الشُّعبة الثَّالثة :

في البحث عن أمراء فنيك

في ناحيـة فنيك أربع عـشـائر كـبـيـرة وهي: (بجنوي - بژنوي - بوشنوية) و (شقاقي - شكاك) و (ميران) و (كونية - گويان). أمّا حكّام المنطقة، فهم من نسل الأمير أبدال بن سليمان بن خالد. وقد ذكرنا سابقاً أنَّ سليمان بن خالد لمّا قضى نحبه في ولاية الجزيرة، قام أولاده يقسمون الولاية الوراثَّية «الجزيرة» بينهم، فصارت فنيك من حصَّة الأمير أبدال.

أ- الأمير أبدال

قام بإدارة شؤون فنيك أياماً طوالا، ثمَّ انتقل حكمها بعد وفاته إلى أولاده وأتباعه، واستتبَّ لهم الأمر بها ولم يزالوا حكاماً عليها حتى استحوذت عليها الدَّولة الآق قويونليّة التُّركمانية. وفي عهدها عمَّتها الفوضى، وقامت بها الثورات، وغمرها الهرج ومع ذلك إحتفظت بها زهاء قرن واحد. ولمّا دالت أيامها وضؤل نفوذها، تمكَّن ورثة المملكة الشَّرعيُّون من تقلُّد زمام تصرُّفها مرَّة أخرى. وما برحوا منذ ذلك الحين قائمين بإدارة شؤونها بالاستقلال التَّام دون أن يمدَّ إليهم أحد يد الاستيلاء، إذ استثنينا فترة قصيرة في عهد شاه علي بگ حاكم الجزيرة كان زمام إدارتها في يد أخيه الأمير محمد بك، ثمَّ عادت بفضل معونة أمراء الجزيرة، إلى ورثتها الشَّرعيِّين. هذا ولاتزال النَّاحية المذكورة حتى الآن، ونحن في السَّنة الخامسة والألف (١٥٩٦م) خاضعة لهم.

الفصل الخامس

في شأن حكام حصن كيفا - حسنكيف المعروفين بملكان[1]

dF

«بهر مدتي گـــردش روزگـــار بـــطرز ديگر خواند آموزگار»
«سر آهنك پيشينه گر روكنـــد نواي ديگـر درجهان نوكنـد»

في كل فترة يأخذ الفلك الدوار في إلقاء دروسه النصحية بشكل جديد. فلو أن طلائع الأحوال القديمة ارتدت على أعقابها، لظهرت في الكون نغمة جديدة).

١- .... ؟[2]

لقد أورد نقلة الأخبار وحملة الآثار أنه: «لما قصرت يد (آل أيوب - الايوبيين) في عام اثنين وستين وست مئة (١٢٦٣م)[3] عن التصرف ببلاد مصر والشام، وزال سلطانهم عنها، شاء القدر أن يأمر الفراش بطي بساط إمارتهم، واخراجها من تلك الولايات، وكان آنئذ أحد حفدة هذه الأسرة قد استتر في حماه وقضى ردحاً من الزمن متنكراً متكتماً. ثم اتَّجه نحو ماردين[4]، ولاذ بحاكمها[5] فعطف عليه،

(١) فسر السيد محمد أمين زكي بك لفظة (ملكان) بـ(ملوك) على أنها صيغة جمع لكلمة (ملك) في اللغة الفارسية ولكنى أراها ناشئة من الملكانية نسبة إلى ملكايت، أحد مذاهب النصرانية في الشرق. راجع تعليقاتنا السابقة في المقدمة.

(٢) لم نعثر على اسم الحاكم الأول في مظانها، لذلك وضعنا رمز الاستفهام.

(٣) الأسرة الأيوبية في كرك هي التي انهارت دولتها في سنة ٦٦٢هـ (١٢٦٣م). أما الأسره الأيوبية الأخرى فقد انهارت سلطنتهم في عصور مختلفة. وليراجع الجدول الذي ألحقناه بتراجم الأسرة الأيوبية.

(٤) هي منطقة ماردين الحالية في الجهة الجنوبية من تركية بجوار نصيبين.

(٥) لعل حاكم ماردين في هذا العهد كان الملك المنصور أحمد من سلالة أرتق. فقد تولى هذا شؤون الدولة حوالي سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٣م) وتوفي سنة ٧٦٩هـ (١٢٥٩م) وهذا هو الذي زاره الرحالة

وأدخله في سلك أمراء دولته وأعيانها. ثم فاضت شهامته -وكان عطوفاً على محبِّيه، قاهراً لمعانديه- فأناط به زمام الحكم في صاور[٦].

إلا أنَّ ذلك الامير الشابَّ لمَّا ألقى عصا التَّرحال، ولبث بها أياماً ساءت حاله، وضاق بها ذرعاً فغادرها إلى أنحاء رأس القول[٧] التي تعرف الآن باسم حصن كيفا، فاختار الإقامة فيها، وتزوَّج بها ووافقه مُناخها وعذوبة مائها ونقاء هوائها. فتلاءم مع أهلها واستمال قلوبهم إليه حتى أحبُّوه حبًّاً جمّاً، وعرضوا طاعتهم عليه جميعاً، كبيراً وصغيراً، غنيّاً وفقيراً، ونصبوه حاكماً على أنفسهم، وشرعوا في تعمير قلعتها وتحصينها واتفق في هذه الآونة أن تطرق إلى أركان بلاط السلطان في ماردين الخلل والتصدّع، ووهنت قوى دولته، فأهابته التحصنات المشروعة بها في قلعة حصن كيفا، فأرسل إلى القائم بتحصين القلعة من يأتي به إليه. غير أنه رفض تلبيته والسير إليه وشق عصا طاعته. فحشد سلطان ماردين جيوشه، وسار بها إلى أنحاء رأس القول مُزمعاً إخضاع قلعتها حصن كيفا. فنهض إليه معمِّر القلعة وقف في وجهه وقاومه بكلِّ بسالة وجدارة، فتقهقر سلطان ماردين خائباً خاسراً. فمنذ ذلك اليوم طلع هلال لواء الأسرة الأيوبية على أصقاع حصن كيفا - للمَّرة الثانية - وأخذ يبعث بأشعته على تلك الربوع والأصقاع، ولم يمضِ وقت طويل حتى احتلَّ تلك البلادَ.

ولقد أملي اسم هذه القلعة «حسنكيف» بالسين أيضاً كما وجد ذلك في بعض عهود السلاطين وكتب الأقدمين. وقد جاءنا من الثِّقات في هذا الشَّأن الرواية الآتية: «كان باني القلعة قد أسر -على عهد سلطنته- رجلاً من وجهاء العرب اسمه حسن وأودعه السِّجنَ فيها. فلما امتدَّت أيام سجنه، ورأى أنَّه لا يتمكَّن من تلبية الحاكم، وأنه سيؤدي بحياته لامحالة، أوفد إليه من يبلغه بالأمنية الآتية: «بما أنَّني أعلم أنَّ امري قد قضي فيه وأنَّني هالك لا محالة، ألتمس من عطفكم الملكي أن

العربي ابن بطوطة وأورد اسمه واسم ابنه الملك الصالح الذي كان يتوزر له جمال الدين السنجاري في كتابه.

(٦) إحدى المناطق التابعة لولاية ماردين.

(٧) رأس القول: الظاهر أنه رأس الغول بالغين المعجمة سميت قلعة حصن كيفا لحصانتها ومنعتها البالغة [م.علي عوني].

تسمحوا لي بالخروج من السِّجن هنيهة، وأن تأمروا بإحضار فرسي التي اصطحبتها معي لأمتطيها داخل القلعة ساعةً من الزمن لأري الملك مهارتي في الفروسية وجلادتي، إلى جانب نشاط فرسي وقوتها في العدو. ثم يُصدر الملك أمرَه المطاعَ بما يروقه. فأجابه الملك إلى أمنيته عن طيب نفس، وأمر بإحضار جواده وأشار عليه بامتطائها. فتقدَّم حسنٌ إلى السلطان وقبل أعتابه الملكية، وامتطى صهوة جواده التي كانت تحاكي البرق في السرعة والريح في الجري، وتطوي وجه البسيطة كالماء.

ﻩE

تكاورى كه ندارد زمين خبر زشمس — كه ازبرش بيكى پاى رفت يا بچهار
بسان قطره أشكى كه أز مژه بچكد — گذر كند بتكى تارموى در شب تار
بخوش خرامى برآب بگذرد چو حباب — بگرم تابى ز آتش بيرون جهد چو شرار
سوى نشيب شتابان چو قطره در نوروز — سوى بلندى تازان چو ابر در آذار
رمنده همچو مراد ورسنده همچون روزى — جهنده همچو نسيم و خورنده آتش وار
هزار دائره بر نقطهء بديد آرد — مگر قوايمش أز آهن است چون پرگار؟!

(ركاضة تجري بحيث لا تستخبر الأرض عن حوافرها، وقد مرت على فوقها، أ على قائمة واحدة مرَّت أم على أربع قوائم؟ كأنَّها قطرات دمع تسيل من الأجفان، وهي تمرُّ على طاقات الأهداب الحالكة في ليالي «الخمسة المسترقة». تجرى بخفَّتها من على الماء كأنَّها حباب «ذراح»، وتجتازه بحدة كأنَّها الشرر المتطاير من النار. تتحدَّر من السُّفوح مسرعةً كقطرات «الأمطار في النيروز»، وتتصاعد إلى القمم موجفة كأنها غيوم آذار، فرارة مُدبرةٌ كالأمنية، مُسرعةً مُقبلةً كالرزق. تحاكي في جريها هبوب النَّسيم، وفي طيِّها الأرضَ الحمم، تَحدِث من نقطة واحدة آلافاً من الدَّوائر، فهل قوائمها من الحديد كالفرجار.؟!).

وبعد أن أوجف حسن جواده يميناً وشمالاً، وأرى قَّوتَها ونشاطها الملكَ، إذا به نخس جنبها بالمهماز، فطفرت من شرفة القلعة التي كان ارتفاعها يُربي على مئة وخمسين ذراعاً بالذِّراع المعماري ووقعت في ماء النَّهر الجاري بجانب حنية القلعة[٨]، وانشقَّ بطنها شقَّتين، وأنقذ حسنُ نفسه من تلك اللُّجَّة الزخَّارة والبحر

(٨) ما أكذب هذه القصة النابعة من عذوبة الخيال!.

الفيَّاض بالسِّباحة، ووصل إلى ساحة السَّلامة . فلَّما غاب عن عيني الملك ضجَّ الحاضرون ونادوا: حسن كيف!!. ». فقيل إن هذه الحادثة الغريبة هي التي بعثت على اشتهار القلعة بهذا الاسم «حسن كيف».

dB

« ... ... باشد سخن غريب اگر راست بود! »

(يكون الكلام مستملحاً إن كان صادقاً)

وفي رواية أخرى «كان باني القلعة يدعى«كيفا بن طالون»، لذلك سمي حصن كيفا[٩] (والله أعلم).

أمَّا العشائر الكبيرة والقبائل المهمَّة في حصن كيفا - حسنكيف فيبلغ تعدادها الثلاث عشرة، وهي: آشتي، ومحلبي ، ومهراني- ميراني، وبجنوي - بژنوي- بوشنوية، وشقاقي- شكاك، وأستوركي، وكوردلي كبير، وكوردلي صغير، ورشان، وكيشلي، وجلكي، وخندقي، وسوهاني وبيديان.

والنَّواحي المهمة فيها، هي بليدة أسعرد، وناحية بشيري، وناحية طور، وناحية أرزن التي تخضع لحكام حظو - حزو وتحوي اثنى عشر ألفاً من النَّصارى الخاضعين للجزية.

هذا ومنذ أن اختلف باني القلعة وحاكم ماردين ونهض الباني في وجهه إلى أن أنشبت المنَّية أظفارها فيه لم يزل (الباني المذكور) قابضاً على زمام الحكم في تلك القلعة وأصقاعها، ويقوم برئاسة القبائل وإدارة العشائر في تلك الأنحاء بحزم ودراية. وبعد وفاته، حل محله -كما شاع في الألسن- أحد أخلافه المدعو الملك سليمان.

٢- الملك سليمان

اعتلى سرير الحكم في حصن كيفا - حسن كيف مكانَ سلفه، وعُنِيَ بإدارة شؤون بلاده إدارة حسنة حتى أواخر عهد الدَّولة الجنگيزيَّة سنة ست وثلاثين وسبع مئة (١٢٣٥م). وبعد أن وافته المنون ورحل إلى الدار العقبى، خلفه ابنه الملك محمد.

(٩) يراجع التعليقة التي كتبها الأستاذ [محمد علي عوني] على هذا الاسم في المقدمة.

اللوحة السابعة
قلعة حصن كيف

٣- الملك محمد

قام مقام أبيه، فكان في كفايته لإدارة المملكة، وجدارته لرئاسة القبائل والعشائر وفي النهوض بالشعب وأشياعه نادرة عهده، فلا يدانيه في ذلك أحد من أقرانه. بل كان يفوق في ذلك السلاطين العظام. ولقد كان يحسن جوار سلاطين إيران، ويبادلهم الولاء والود. ولم يزل كذلك حتى غادر الدنيا الفانية بالموت.

٤- الملك عادل بن الملك محمد

تقلَّد زمام الحكم في حصن كيفا - حسنكيف بوصية من أبيه. فغمرها بعدله ونصفته، وتقدم بها حتى ازدهرها بالعمران. وقد تدرج في الترقي وازدياد النفوذ حتى بَذَّ أسلافه. ولم يزل متمتعاً بالسعادة حتى لحق بربه في شهور سنة إحدى وثمانين وسبع مئة (١٣٧٩م).

٥- الملك أشرف[١٠] بن الملك عادل

بعد أن تُوفيِّ والده حلَّ محلَّه فصادف عصره عهد سلطنة الأمير تيمور گورگان وكان كما أورد مولانا شرف الدين علي اليزدي في كتابه (ظفرنامه) التأريخي أنه لما سار الأمير گورگان عام ٧٩٦هـ (١٣٩٤م) لغزو بغداد واحتلال تكريت وتكللت هامته بالانتصار وسار منها إلى ماردين وبلغ بلدة روحا- رها- أورفه استقبله وإلى حصن كيفا - حسنكيف وحظي بزيارته فيها وعرض عليه طاعته وإخلاصه ففاز بعطفه وعاد أدراجه إلى ولايته. ولبث بعد ذلك حاكماً أمداً طويلاً. ثم جاءه الأجل الموعود[١١] فلحق الدار الآخرة.

٦- الملك خليل بن الملك أشرف الملقب بالملك الكامل

لما تُوفِّي والده، نُصب حاكماً على حصن كيفا - حسنكيف بإجماع القبائل والعشائر والوجهاء. ولَما حلَّت سنة أربع وعشرين وثمان مئة (١٤٢١م)، واتفق أن اتَّجه ميرزا شاه رخ بن الأمير تيمور گورگان لغزو أولاد قره يوسف التركماني[١٢]

---

(١٠) يسميه السيد محمد أمين زكي بك: الملك الأشرف أحمد.

(١١) في مشاهير الأكراد وكردستان (١٠١:١).

(١٢) هو مؤسس حكومة الآق قويونلو راجع (ص ٢٣٨).

وإجلائهم عن ممالكهم ووصل إلى تخوم وان ووسطان، استقبل الملك خليل الموكب السلطاني، وحظي بزيارته ونال عطفه. وفيما أصدر الإذن بالعودة، لفريق من أمراء كردستان أمثال الأمير شمس الدين حاكم بدليس والملك محمد حاكم حكاري وابن سلطان سليمان حاكم خيزان في حدود ألشگرد[١٣]، أذن له بالعودة إلي بلاده أيضاً. فرجع مع الحكام المذكورين إلى إمارته حيث قضى بقيَّة حياته في تلك البلاد سعيداً متمتِّعاً بالاستقلال التامّ ، وعاش الشعب والجيش في ظلال عدله بالرفاهيَّة ورَغَد العيش. ثم جاءته الوفاة في شهور عام اثنين وستين وثمان مئة (١٤٥٧م) فانتقل إلى رياض الجنان.

٧- الملك خلف

اشتهر بلقب چاف سرخ، ويراد به في اصطلاح الأكراد «چشم سورخ» الفارسية أي أشكل العينين - وهو نجل الملك سليمان أخي الملك خليل.

ولما تُوفِّي عمه المذكور، تولَّى مهمَّات الحكم في حصن كيف - حسن كيف ورئاسة العشائر والقبائل فيها وقد أدَّت البطولات والبسالات التي أبداها في المعارك بينه وبين عشيرة بختي -بوتان، والحروب الشّعواء التي شنّها عليهم إلى أن يشتهر بلقب أبي سيفين.

ولما أزمع حسن بيك الطويل البايندري الآق قويونلي احتلال ولايات كردستان كان قد سير قُوَّة تركمانية لغزو حصن كيفا واحتلالها. فلما أغارت هذه القوة على القلعة، وحاصرها ردحاً من الزمن، وشدَّد عليها الخناق ولم يتيسَّر لها فتحها، أخذت هذه القوة التركمانية تنزع إلى المكيدة والاحتيال، فأغرت أحد بني أعمام الملك خلف به، على أن تسند إليه زمام الملك بعده. فانخدع بوعدهم، وأخذ يهتبل الفرصة لاغتياله حتى وجده ذات يوم وحيداً في الحمّام، فاستحوذ عليه الشيطان وسوَّل له أمر قتله، فتلفف بعصابة العار، ووضع حقوق الرحم جانباً، وأعمل فيه سيف الغدر، فقضى عليه[١٤]. فانفلت بذلك زمام الحكم من يد هذه الأسرة، ووقع في كف شرذمة تركمانية. أما القاتل الغرُّ المخدوع، فلم يستفد شيئاً إلا الخيبة والندامة.

---

(١٣) كانت ضمن مناطق أرمينية التي زحف عليها بقواته.

(١٤) الوارد في كتاب (ديار بكريه) ص٣٧١/ ٢٤/ أن الحسن الطويل لما احتل حصن كيفا ألقى

«تخم وفا و مهر درين كهنه كشت زار آنگه شود عيان كه رسد موسم درو»
«شكل هلال در سرمه ميدهد نشان از افسر سيامك وفر كلاه زو»

(ان بذور الوفاء والولاء في هذه المزرعة القديمة «الدنيا» إنما تظهر للعيان حين يأتي وقت الحصاد ... ومرسوم الهلال المحبوك بالخيط المقصب «المبهرج» يمتاز في التاج عنه في الطاقية العادية).

٨- الملك خليل بن سليمان

في الفترة التي ظهرت فيها التراكمة[١٥]، كان الملك خليل هذا، قد لاذ بالهرب إلى حماه واستتر فيها. فلما بدرت بوادر الفوضى والانشقاق بينهم، تمكن بمعونة من الأمير شاه محمد شيروي - وكان من حفدة أمراء شيروي الذين كانوا يتولون منذ قديم الأزمان مناصب الوزارة في حكومات حصن كيفا - حسنكيف من العودة من حماه إلى أصقاع ولايته. فاجتمعت عليه عشائر منطقة حصن كيفا- حسن كيف وقبائلها وآزروه بالمعونة والمساعدات فتمكن بفضلها من الزحف على إسعرد[١٦] والاستيلاء عليها وإجلاء الامراء الآق قويونلية منها عنوة. ثم زحفوا على حصن كيفا واستردُّوها منهم أيضاً. وبعد ذلك استقلَّ الملك خليل بهذه البلاد استقلالاً تاماً. والحق أنه لم يكن بين حكام كردستان على عهده من يدانيه هيبة وسلطاناً. وكانت سيرته عالية، وأطواره ملوكية.

ولما هجرت شقيقة الشاه إسماعيل الصفوي[١٧] وطنها تخلصاً من مظالم

القبض على كل من «زين العابدين» و «الملك أيوب» قاتلي الملك خلف وأمر بقتلهما قصاصا».

(١٥) يعني الدولة الآق قويونلية التركمانية والدول التركمانية الأخرى مثل الجلائرية والقره قويونلية.

(١٦) إسعرد: من الأقضية التابعة لولاية بدليس القديمة.

(١٧) هو الشاه اسماعيل الاول وقد مرت علينا ترجمته. ومن المؤسف أن الاستاذ محمد علي عوني حين ترجم شرفنامه إلى العربية، التبس عليه الأمر، فكتب وتزوج الملك خليل بأخت الشاه إسماعيل الكبرى حينما وصل حصن كيف ونزل عنده ضيفاً علما بأن الشاه إسماعيل كان آنئذ في الخامس من عمره، وقد اختفى في گيلان ... ولم يتنبه الأستاذ هژار للقصة أيضا، فعندما ترجم شرفنامه إلى اللغة الكردية وكان من عادته النظر إلى الأصل الفارسي، وإلى ترجمتي، وإلى ترجمة الاستاذ محمد علي عوني، كانت عينه مشغولة بترجمة المرحوم محمد علي عوني، فترجم

السلطان يعقوب[١٨]، واعتزمت السير إلى بيت اللّه الحرام لأداء فريضة الحج، مرت في طريقها بولاية ديار بكر - آمد. فلما وصلت انحاء حصن كيفا - حسنكيف، اهتبل الملك خليل الفرصة، فخطبها وعقد عليها النكاح، وأقام في يوم زفافها وليمة ملكية فخمة، دعا إليها جميع امراء كردستان وحكامها وسكانها، من الخواص حتى العوام، فحضروها جميعاً، وبسطوا بساط التمتع والتنعم بالفرح والسرور. فكان سقاة ذو ووجوه بدرية، مليحو الكلام، يقدمون أقداح الراح المستساغة في الحلقوم كالقراح، ومغنون جميلو الأصوات، ملمون بفنون التلحين، وموسيقيون ماهرون في العزف على العود، يزينون المنتدى بإنشاد مثل هذه الأهازيج:

آسمان ساخت در آفاق يكى سور، چه سور — كه ازان سور شد اطراف ممالك معمور
اجتماعيست منور، قمرى را با شمس — اتصاليست مقرب ملكى را با حور
مهد بلقيس زمان داشته است ارزانى — بسرا پرده‌ء الصواب دولت (جم) تشريف حضور

(لقد جعل آفاق بلاده كالسماء بأنوار مهرجان عرسه، إنه لمهرجان أضحت به أنحاء الممالك معمورة. إنه اجتماع النيرين: القمر والشمس، واتصال مقربين: الملك بالحور. لقد جاد الزمن ببلقيس وعرشها، فشرفت بها الزفة الملكية للحضور في دولة جم).

ولما تزعزت أركان الدولة الآق قويونلية وانهدَّ كيانها، وبزغت شمس دولة الشاه إسماعيل الصفوي[١٩] وأخذت تتدرج في بعث أشعتها على البلاد، أخذ أمراء كردستان وحكامها يقصدونه في تبريز، لعرض إخلاصهم له. بيد أنَّهم لم يكادوا يمثلون بين يديه حتى بادر إلى تصفيد الملك خليل ومن جاء معه من الأمراء، وألقاهم

العبارة الكردية من ترجمته، فجاءت خطأ كذلك فليصحح القراء الخطأ في الكتابين.

(١٨) هو يعقوب بن حسن الطويل من حكام الآق قويونلية كان قد أنجد شيروان شاه أمير شماخي على الشيخ حيدر الصفوي الذي استولى على بلاده حتى استردها منه وقضى عليه بالقتل.

(١٩) كان ذلك سنة خمس وتسع مئة (١٤٩٩م) ثم ثار الشاه إسماعيل هذا على الوند ميرزا الآق قويونلي فاستولى على ملكه وقضى على أسرتهم.

اللوحة الثامنة
مدينة حصن كيف ، الاحتفال الذي اقامه الملك
خليل للتزوج باخت الشاه اسماعيل الصفوي

جميعاً في غياهب السجن، وناط أمر محافظتهم بالأمير زينل خان شاملوي. ثم أجبر الملك خليل على أن يأتي بقرينته وأهل بيته إلى تبريز. فلبى الملك خليل أمره وأبلغ أهل بيته أن يقدموا إلى تبريز، فجاؤوا إليها. وكانت قرينته شقيقة الشاه إسماعيل قد ولدت منه آنئذ ابناً وثلاث بنات.

ولبث الملك خليل في سجنه ثلاثة أعوام، خضعت إيالة حصن كيفا- حسنكيف خلالها لأمراء القزلباش ولما بدرت بوادر موقعة چالديران[٢٠] إنتهز الملك خليل الفرصة وتمكن بالاتفاق مع (باش بيوگ -ذي الهامة الكبيرة) (اوبايكي)[٢١] من القضاء على القائمين بحراسته والتخلص منها بالفرار إلى ديار بكر- آمد. ولما بلغ أنحاء وان، تعرضت له عشيرة محمودي، ووقفت في طريقه محاولة الفتك به. بيد أنه حاربهم ببسالة وجلادة، حتى خلص نفسه منهم سالكاً الطريق المار بأودية بدليس نحو حصن كيفا- حسنكيف. ولكن زميله (باشي بيوگ - ذو الهامة الكبيرة) لم يتمكن من إنقاذ نفسه، بل قتل في تلك المعركة.

وفيما كانت عشيرتا: شيروى ورزقي - زراكي قد نصبتا بالاتفاق مع قبائل حصن كيف وعشائرها، الملك سليمان بن الملك خليل حاكماً على تلك الديار. خلافاً لعشيرة رشان التي ناطت زمام الحكم في الأصقاع بأحد أبناء عم الملك خليل، وأتت عشائر بختي - بوتان المتأهبة لاحتلال إسعرد وانتزاعها من الدولة القزلباشية بقواتها إلى هذه الربوع، واذ استفاض النبأ بعودة الملك خليل وطرق أسماع سكان تلك الأصقاع، هرع أبناؤه لاستقباله، ورفعت عشائر بختي- بوتان الحصار عن قلعة إسعرد. ثم إن الملك خليلاً بعد أن استراح أياماً، خفَّ إلى قلعة إسعرد فانتزعها من تصرف قوات الدولة القزلباشية.

ولما كانت الدولة القزلباشية قد استولت على قلعة حصن كيف بمعونة من عشيرة بجنوي - بشنوي، وعهدت إليها بشؤون إدارتها وصيانة الأمن فيها، حتى خدعتها بذلك، وجعلتها تخضع لأمرها وتطيعها طاعة عمياء، بحيث إنها لما سمعت بزحف الملك خليل، بادرت بالذهاب إلى ناحية طور من أعمال بختي- بوتان لتجهيز قواتها

---

(٢٠) وقعت هذه المعركة سنة ٩٢٠هـ (١٥١٤م).

(٢١) وفي نسخة اخرى خطية: (باشي بيوگ بگ) [محمد علي عوني].

بالمؤن والذخائر الكافية، لتتمكن من الذود عن القلعة والقيام بمحافظتها، لئلا تنتزع منها بسهولة، فبلغ الملك خليل نبأ ما اعتزموه فحشد حول رايته عدداً كبيراً من شجعان القبائل والعشائر، وشن بهم غارة عنيفة على العشيرة المذكورة. فتقدمت بعرض طاعتها، ووعدت بتسليم القلعة. فعند ذلك أمَّن أبناءها على حياتهم، وأبرم ميثاق الصلح مع حسين بك -بجنوي- البشنوي، وملكه قرية بالي دية عن دماء إخوته التي هُدرت، كما سنوردها بتفصيلها. ثم تخلت العشيرة المذكورة عن القلعة، وسلَّمت مقاليدها إليه.

ولقد جاءنا من الرواة الثِّقات الملمين بشؤون عشيرة (بجنو - بژنو - بشنوي) أن بجني - بشنو وبخت -بهت- بوتان، كانا أخوين من سلالة حكام الجزيرة العمرية، نشب بينهما النزاع على تقلد زمام الحكم فيها، فاستتبْ أمر الحكومة فيها لبخت- بوتان ، وانتحى بجني- بشنو إلى حصن كيفا- حسنكيف. ثم إن عشيرة ملكان نزعت حكومتها من عشيرة بجني- بشنو.

وهناك رواية أخرى، هي :«أن الشعوب الكردية كلَّها من سلالة بجن -بشنو وبخت- بوتان {والعلم عند اللَّه}.

ولقد صادف على عهد تولي الأمير شرف بن الأمير بدر حكومة الجزيرة أن صدرت من عشيرة بجنو-البشنوية نحو شرف بسبب العداء القديم بين الفريقين أعمال لا تليق بمقامه، فهاج هائجه، فأراد أن ينتقم لنفسه وطلب من الملك خليل أن يسلم إليه الأمير محمد بجنوي- البشنوي ليؤدبه بنفسه، فلم يكن من الملك خليل إلا أن أغار عليه بنفسه، فقتله مع خمسة عشر نفراً من أولاده وأتباعه إرضاءاً له. ولم يتخلص من هذه الحملة التأديبية إلا ابنه حسين بك الذي أنقذ نفسه بالفرار، وصارت أموالهم وأثقالهم عرضة للنهب والغنيمة، وكما دمرت البقية المتبقية من عشائرهم.

والذي تتناقله الألسن الآن هو أن اتفاق حسين بك مع الدولة القزلباشية أيام غياب الملك خليل كان ناجماً عن هذه الحادثة الفظيعة وأن إنعام الملك خليل عليه بقرية بالي وإبرامَه ميثاقَ الصلح معه كان إخماداً لهذه القضية.

وملخص البحث هو أن الملك خليل بعد أن تنازلت له عشيرة بجنو -البشنوية عن قلعة حصن كيفا- حسنكيف وسلمته مقاليد حكمها اعتلى عرش الإمارة فيها وتمتع

بالحكم عليها إلى أن ناداه هاتف الأجل من وراء الغيب وأسمعه كلمة (ارجعي إلى ربك راضية مرضية) فانتقل إلى عالم البقاء مخلفاً أربعة بنين هم: الملك سليمان والملك محمد والملك علي والملك حسين.

٩- الملك حسين بن الملك خليل

ولما كان الملك حسين هذا شابا عالي الهمة سامي الخلق كثير الإنعام وافتتنت عشائر حصن كيف - حسنكيف وقبائلها بما كان عليه من الجمال وما تحلّى به من الكمال، اختاروه عليهم برغم أنه كان مراهقاً.

«آنرا كه نشان ضرب عشق است أز چهـــره او چـــو نور پيداست»

(إن من كان وسامه ميسم العشق والغرام يلوح على وجهه كأنه النور اللامع)

بيد أنه لما تسلم الحكم ألقى بأخويه الملك محمد والملك علي في غياهب السجن، أما أخوه الآخر الملك سليمان فقد تخلص من السجن بالفرار من ناحية أرزن[٢٢] وقصد خسرو پاشا أمير أمراء آمد- ديار بكر حيث عرض عليه رغبته في الحصول على مملكة والده فأزمع خسرو پاشا على حسم النزاع بين الإخوة وأوفد من يأتيه بالملك حسين إلى آمد- ديار بكر كما أحضر أخويه السجينين فيها أيضاً. ثم بعد أن نفذ القتل في الملك حسين، ناط إيالة حصن كيفا- حسنكيف بأخيه الملك سليمان.

١٠- الملك سليمان بن الملك خليل

لقد أجمع أعلام الدين وسالكو سبل اليقين على أن اللائق بتولي شؤون الدولة والجدير بالمنزلة الرفيعة هو الشخص الذي يكون مصداقاً لكلمة: (وأحسن كما أحسن اللّه إليك) فينال إحسانه وشفقته الناس صغيراً وكبيراً ويعمل بموجب: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) فيصل رحم أولئك الذين يربطهم به أواصر القرابة فينظر إليهم نظرة العطف ويجعلهم محسودين بين أقرانهم.

---

(٢٢) من المناطق التابعة لولاية بدليس في سنجق إسعرد يمدها شرقاً شروان ومن الجنوب الشرقي إسعرد نفسها ومن الجنوب قضاء رضوان ومن الغرب ولاية ديار بكر ومن الشمال گنج وبتليس وهي مؤلفة من ١٣٨ قرية ونفوسها ١٣٠٠٠ نسمة ثلثاها من الأكراد المسلمين والبقية من الأرمن والسريان واليزيديين.

«دو دوست باهم اگر يكدلند، چون مقراض برند ازهمه عالم، زيكديگر نبرند»

(اذا كان الصديقان متصافيين بينهما فإنهما يكونان كشِقَّي مقراض يقطعان من كل شيء إلا من نفسهما).

هذا والغرض الأساس من تمهيد هذه المقدمات هو أن الملك سليمان لما تقلد زمام الحكم في إيالة حصن كيفا -حسنكيف بموجب الأمر الصادر من السلطان سليمان خان وبمعونة من خسرو پاشا أمير الامراء ووالي ديار بكر- آمد، وعاد إلى مقر حكمه ما كاد يبلغ عاصمة مملكته حتى نهض إليه أخواه الملك محمد والملك على ينازعانه الملك ولم يمض على توليه الحكمَ وقت كثير حتى أدرك أخوه الملك علي أنه قوي شديد المراس لايزعزعه قيامهما عليه لذلك غادر المملكة وقصد شرف خان حاكم بتليس. أما العشائر والقبائل التابعة لتلك المنطقة فقد كانت مستاءة من تسببه في قتل الملك حسين، فلم تذعن لأمره بل ثارت عليه وشقَّت عصا الطاعته فاستولى عليه الذعر والخوف فغادر مملكته إلى آمد - ديار بكر ونزلت عن حكومة حصن كيف - حسنكيف عن طيب نفس وسلم مقاليد القلاع إلى خسرو پاشا عارضاً عليه أن يستحصل له إيالة ولاية أخرى. فعرض خسرو پاشا أمره على الباب العالي فأنعم عليه بأيالة روحا[٢٣] مع إضافة سبع مئة ألف آقچه أخرى بدلا من حصن كيفا- حسنكيف وبمنح أخيه الملك محمد ثلاث مئة ألف آقچه على طريق الزعامة و بإعطاء أخيه الثالث الملك على مئتي ألف آقچه في ولاية روحا.

وبعد أن اضطلع الملك سليمان بأعباء الحكم في روحا أمداً بعيداً جاءه الأجل المحتوم فطار طائر روحه القدسي من قفص الجسد وراح يحط في أعلى عليين.

١١- الملك محمد بن الملك خليل

بعد أن تُوفِّي أخوه انتزع منه سنجق روحا ونيط به سنجق عربگير[٢٤] على سبيل

(٢٣) هي مدينة الرها الشهيرة الآن بأورفه.

(٢٤) هي بلدة في ولاية خربوط بكردستان التركية [محمد علي عوني].

الإمارة بموجب الأمر الصادر من الديوان السليماني ثم نيطت به بتليس كسنجق. بيد أنه لم يستتبَّ له الأمر فيها وأصابه الملل والسآمة من كثرة التبدلات والتغيرات التي كان عليه القيام بها ومن فوضى سكان السنجق التي لم يكن له بها قبل. ولما كان مبرماً ميثاق الصداقة والولاء مع بدر بك حاكم بختي- بوتان وكان قد زوج كريمته من ابنه الأمير محمد إضافة إلى صلات الجوار والقربى التي كانت تصل بعضهما ببعض منذ زمن قديم لم يكن منه إلا أن اغتنم هذه الصلات فاختار العزلة وقبع في إحدى زوايا الجزيرة قاضياً فيها بقية حياته. ثم لما ناداه منادي الحق بالموت لبَّاه ولحق برحمة ربه معقباً أحد عشر ولداً هم: الملك خلف والملك سلطان حسين والملك الأشرف والملك علي والملك سليمان والملك خليل والملك ظاهر والملك عادل والملك محمود والملك حسن والملك أحمد.

١- **الملك خلف:** توفِّي الملك خلف في ريعان عمره وعنفوان شبابه تاركاً ولداً اسمه الملك حمزة.

٢-٣-٤: ثم توفي كل من الملك سليمان والملك ظاهر والملك حسن، وهم في زهرة الشباب.

٥- **أما الملك سلطان حسين:** فقد رغب في تقلد زمام الحكم في السنجق الذي كان يحكم عليه أبوه، فأجيب إلى ذلك بأمر من السلطان سليم خان[٢٥]. أما بقية أبنائه، فقد اختاروا ملازمة أمراء كردستان، وهم يتجولون في أنحاء البلاد الكردية.

١٢- الملك سلطان حسين بن الملك محمد

لما أسند إليه القيام بإدارة السنجق المذكور الذي كان يقوم والده بإدارته، أخذ يتقلد زمام الحكم عليه تارة، ويعرض عنها أخرى، كأنه قلق النفس مضطربها، متردد عن هذه المهمة. وأخيراً لم يكن منه إلا أن أعرض عنها تماماً. والآن ونحن في السنة الخامسة والألف (١٥٩٦م) فإنه يقضي أوقاته في كردستان[٢٦] خارج الحكم؛

(٢٥) هو السلطان سليم خان الثاني بن السلطان سليمان القانوني وقد مرت ترجمته علينا.

(٢٦) لعله يعنى بكردستان هنا مدلولها الخاص ويريد بها منطقة چمشكزك.

ويعيش من الريع القليل الذي يحصل عليه من الفضلات الوقفية التي وقفها آباؤه وأجداده.

ولما كان ينتمي إلي الشرف والسؤدُد ، فاننا نرجو من الحق سبحانه وتعالى أن يجعل التوفيق رفيقه في الحال والمآل، وأن ينيله منصب آبائه وأجداده الكرام.